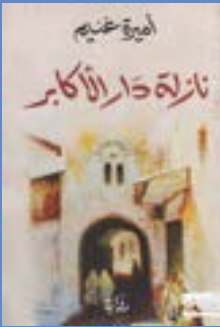


# الجائزة العالمية للرواية العربية



الجائزة العالمية للرواية العربية  
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

## مقتطفات من القائمة القصيرة 2021



أميرة غنيم  
نازلة دار الأكابر



جلال برجس  
دفاتر الوراق



عبد اللطيف ولد عبد الله  
عين حمورابي



الحبيب السالمي  
الإشتياق إلى الجارة



عبد المجيد سباطة  
الملف 42



دنيا ميخائيل  
وشم الطائر



الجائزة العالمية للرواية العربية  
INTERNATIONAL PRIZE FOR ARABIC FICTION

الجائزة العالمية للرواية العربية

## القائمة القصيرة

للعام 2021

مركز أبوظبي  
للغة العربية  
Abu Dhabi Arabic  
Language Centre



دائرة الثقافة والسياحة  
DEPARTMENT OF CULTURE  
AND TOURISM

The  
Booker  
Prize  
Foundation



بدعم من:

ABU DHABI **معرض**  
INTERNATIONAL **أبوظبي الدولي**  
BOOK FAIR **للكتاب**

## المحتويات

|    |                                      |
|----|--------------------------------------|
| 4  | عن الجائزة                           |
| 8  | تمهيد: كلمة رئيس لجنة التحكيم        |
|    | مقتطفات من روايات القائمة القصيرة:   |
| 11 | عين حمورابي، عبد اللطيف ولد عبد الله |
| 20 | دفاتر الوراق، جلال برجس              |
| 29 | نازلة دار الأكابر، أميرة غنيم        |
| 36 | وشم الطائر، دنيا ميخائيل             |
| 45 | الملف 42، عبد المجيد سباطة           |
| 55 | الاشتياق الى الجارة، الحبيب السالمي  |
| 63 | أعضاء لجنة التحكيم للعام 2021        |
| 66 | المترجمون                            |



## عن الجائزة العالمية للرواية العربية

تهدف الجائزة العالمية للرواية العربية، وهي الجائزة الأدبية الأكثر هيبة وأهمية في العالم العربي، إلى مكافأة التميز في الأدب العربي المعاصر، ورفع مستوى الإقبال على قراءة هذا الأدب عالمياً، من خلال ترجمة الأعمال الفائزة ونشرها بلغات عالمية رئيسية أخرى.

أطلقت الجائزة العالمية للرواية العربية في أبريل/نيسان 2007، تحت رعاية "مؤسسة جائزة بوكر" في لندن، ويقوم مركز أبوظبي للغة العربية التابع لدائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي بدعمها حالياً. إدارة شؤون الجائزة الشاملة هي من مسؤولية مجلس الأمناء، الذي يضم شخصيات بارزة من الساحتين الأدبيتين العربية والعالمية. أما الإدارة اليومية فهي مهمة المنسق الإداري، الذي يعينه مجلس الأمناء.

من مهام مجلس الأمناء تعيين أعضاء لجنة التحكيم الخمسة في كل دورة، وهم المسؤولون الوحيدون عن اختيار القائمة الطويلة، ثم القائمة القصيرة، والرواية الفائزة. وتتغير لجنة التحكيم سنوياً. بغية ضمان استقلالية عملية الاختيار ونزاهتها، يظل أعضاء لجنة التحكيم مجهولي الهوية إلى حين الإعلان عن القائمة الطويلة. سيتم الإعلان عن الرواية الفائزة بدورة العام 2021 في فعالية افتراضية تنظم في 25 أيار/مايو 2021.

ينال كل من الكتّاب الستة المرشحين في القائمة القصيرة عشرة آلاف دولار أميركي، بالإضافة إلى خمسين ألف دولار أميركي للفائز. فضلا عن ذلك، يتطلع الكتّاب الفائزون في القائمة القصيرة إلى زيادة في مبيعات كتبهم في البلدان العربية، كما في العالم من خلال الترجمة، وتضمن الجائزة تمويل ترجمة الرواية الفائزة إلى اللغة الإنجليزية.

بالإضافة إلى الجائزة السنوية، تدعم الجائزة العالمية للرواية العربية مبادرات أدبية مختلفة، فأطلقت سنة 2009 ورشة للكتابة الإبداعية تحت اسم "ندوة" للكتّاب الشباب من جميع أنحاء العالم العربي. وتعتبر الندوة الأولى من نوعها للكتّاب العرب، وينتج عنها في كل سنة ثمانية نصوص روائية لنخبة من الكتّاب الشباب الواعدين، وقد ترشحت للجائزة أعمال بعضهم، فدخلت في القائمة القصيرة وحتى فازت بالجائزة. وتمّ عقد الندوات الثماني الأولى تحت رعاية سمو الشيخ حمدان بن زايد آل نهيان، ممثل الحاكم في منطقة الظفرة، دولة الإمارات العربية المتحدة. عقدت "ندوة" العام 2017 بدعم من مجموعة أبوظبي للثقافة والفنون. كما عقدت ندوات أخرى في الأردن وسلطنة عمان والشارقة بالتعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان الأردنية والنادي الثقافي في مسقط ودائرة الثقافة - حكومة الشارقة.

لمزيد من المعلومات:

[www.arabicfiction.org](http://www.arabicfiction.org)



دائرة الثقافة والسياحة  
DEPARTMENT OF CULTURE  
AND TOURISM

## عن دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي

تتولى دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي قيادة النمو المستدام لقطاعي الثقافة والسياحة في الإمارة، كما تغذي تقدم العاصمة الاقتصادية، وتساعد على تحقيق طموحاتها وريادتها عالمياً بشكل أوسع. ومن خلال التعاون مع المؤسسات التي ترسخ مكانة أبوظبي كوجهة أولى رائدة: تسعى الدائرة لتوحيد منظومة العمل في القطاع حول رؤية مشتركة لإمكانات الإمارة، وتنسيق الجهود وفرص الاستثمار، وتقديم حلول مبتكرة، وتوظيف أفضل الأدوات والسياسات والأنظمة لدعم قطاعي الثقافة والسياحة. وتتمحور رؤية دائرة الثقافة والسياحة – أبوظبي حول تراث الإمارة، ومجتمعها، ومعالمها الطبيعية. وهي تعمل على ترسيخ مكانة الإمارة كوجهة للأصالة والابتكار والتجارب المتميزة متمثلة بتقاليد الضيافة الحية، والمبادرات الرائدة، والفكر الإبداعي.

لمزيد من المعلومات:

[www.dctabudhabi.ae](http://www.dctabudhabi.ae)



## عن مركز أبوظبي للغة العربية

تأسس مركز أبوظبي للغة العربية كجزء من دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي لدعم اللغة العربية ووضع الاستراتيجيات العامة لتطويرها والنهوض بها علمياً وتعليمياً وثقافياً وإبداعياً، وتعزيز التواصل الحضاري وإتقان اللغة العربية على المستويين المحلي والدولي، ودعم المواهب العربية في مجالات الكتابة والترجمة والنشر والبحث العلمي وصناعة المحتوى المرئي والمسموع. يعمل المركز لتحقيق هذه الأهداف عبر برامج متخصصة وكوادر بشرية فذة، وشراكات مع كبرى المؤسسات الثقافية والأكاديمية والتقنية حول العالم انطلاقاً من مقر المركز في العاصمة الإماراتية أبوظبي.



## تمهيد

### مغامرات سردية بالغة الجراًة

تشكل روايات القائمة القصيرة لهذه الدورة تنويجاً أسلوبياً وبنويماً للمسار التصاعدي الذي تسلكه فنون السرد في العالم العربي منذ سنوات عدة. ورغم ما بين هذه الأعمال من فروق وتباينات على الأصعدة اللغوية والتقنية والروئية، إلا أنها تتوحد في تفاعلها العميق مع الإنهيارات المتلاحقة للواقع العربي، وفي تنقيبها المضماني عن الجذور الفكرية والثقافية والاجتماعية للمأساة. وما يلفت في هذا السياق، لا يتمثل فقط بظهور بؤر وبيئات جديدة للأدب الروائي العربي، بل كون معظم الذين تتضمنهم القائمة هم من جيل الشبان، المنفتحين في مقارباتهم السردية على حساسيات مختلفة، وعلى مغامرات سردية بالغة الجراًة، لا تهدف الى تصحيح التاريخ فحسب، بل الى تغيير الحاضر والمستقبل في الآن ذاته. وإذا لم يكن هدف هذه المقدمة تقديم قراءة وافية ومسهبية لهذه الأعمال، فإن ذلك لا يمنع بأي حال من أن استعرض بشكل سريع أبرز ما يميز كلاً منها:

نازلة دار الأكابر: يبدو هذا العمل شبيهاً بملحمة روائية فريدة تعرض من خلالها الكاتبة التونسية أميرة غنيم لحقبة هامة ومفصلية من تاريخ تونس الحديث. ومع أن الرسالة العاطفية التي بعث بها المناضل والمثقف التنويري الطاهر الحداد الى زبيدة الرصاص، لم تكن في ظروف أخرى كافية لاثارة كل ذلك القدر من العواقب الوخيمة، إلا أنها تحولت في مجتمع ذكوري بطريكي الى "نازلة" حقيقية، تغيّر بشكل دراماتيكي مصائر العائلتين المرتبطتين بالتصاهر، وتضرب العلاقات فيما بينهما في الصميم. وفيما توكل المؤلفة الى بعض الشهود من العائلتين مهمة السرد، تترك لنا نحن القراء، أن نقف على نسبية الحقيقة، كما على التحولات الدراماتيكية التي شهدتها المجتمع التونسي خلال تلك الحقبة الحساسة من القرن العشرين.

دفاتر الوراق: بلغة شاعرية ومكتفة يسلط الكاتب الأردني جلال برجس الضوء على واقع فصامي مكتمل التصدع، في بلاده الواقعة على خط لا يهدأ من الزلازل. فبطله ابراهيم الوراق، بائع الصحف المطرود قسراً من وسط العاصمة، إذ يعدل عن الانتحار إثر لقاءه بامرأة غامضة تشاطره اليأس ذاته

والقرار إياه، يواصل انتحاره بأشكال أخرى. فهو بفقدان العمل والمأوى، يقرر العيش مع مشردي مدينته، كما أنه، متقمصاً شخصيات العديد من أبطال الروايات التي قرأها، يقرر التحول إلى لص محترف لسرقة المصارف وكبار الأثرياء، لكي يساعد الفقراء المدقعين ويرسي كـ"روبين هود" عدالته الخاصة. ومع تتابع الأحداث يخبئ برجس لقارئه الكثير من المفاجآت، مبيئاً من خلال شخصياته المعطوبة خراب العالم وخواء التام، ومستخدماً كل ما يلزم السرد من أسباب الترابط والشحن العاطفي والتقصي السيكولوجي للسلوك البشري.

**عين حمورابي:** يقارب الكاتب الجزائري عبد اللطيف ولد عبدالله في هذه الرواية، وعلى لسان بطله الهارب من الموت، أحد أكثر الفصول قتامة في تاريخ الجزائر الحديث. فقد اتخذ المؤلف من المواجهة الدامية بين السلطة الحاكمة وبين قوى التطرف الاسلامي في أواخر القرن الفائت، الذريعة الملائمة لطرح الأسئلة المتعلقة بالهوية المثلومة والعلاقة مع الغرب القائمة على الاستحواذ والنهب المنظم لثروات البلاد وكنوزها الثمينة. وعبر لغة جزلة ومتوترة، وسرد محكم، يكشف العمل عن مفاجآت متلاحقة، حيث يتضافر الجهل المسلح بالشعوذات، مع الفقر المدقع والتسلط الذكوري، من أجل حماية اللصوص والجلادين من العقاب، فيما لا يكف الضحايا عن التذابح، وتقديم القرابين لآلهة متعددة الوجوه والمآرب.

**الملف 42:** لم يكن أمراً بلا دلالة أن يلجأ الكاتب المغربي عبد المجيد سباطة إلى إيلاء الكاتبة الأميركية كريستين ماكميلان، المصابة بنضوب في المخيلة، مهمة السرد عبر تعقب مسار أبيها الراحل الذي التحق بإحدى القواعد العسكرية الأميركية في المغرب لسنوات عدة. فقد مكنه ذلك من العثور على كافة المفاتيح اللازمة لتقديم رواية مدهشة وبالغة التشويق، حيث تنكشف العلاقة بين الغرب والعالم العربي على حقيقتها المتمثلة بالهيمنة والنهب والاستحواذ، كما يبدو إلحاح الإبنة على كشف حقيقة الأب الجاني، بمثابة تسلح بالأدب لكتابة التاريخ الحقيقي، ولإمطاة اللثام عن حادثة الزيوت المغشوشة التي أودت بحياة مئات المغاربة في خمسينيات القرن الفائت. كما ينجح سباطة مستعيناً برواية محلية هي "أحجية مغربية"، التي أسدل عليها حجاب التجاهل، في إمطاة اللثام عن الكثير من الألغاز. ورغم طول الرواية الملحوظ فنحن لا نشعر بالملل، لأن سباطة يفتح للسرد مسارات عديدة متساوقة، إضافة إلى الحبكة المتقنة وشبه البوليسية، وليس انتهاء بالسرد

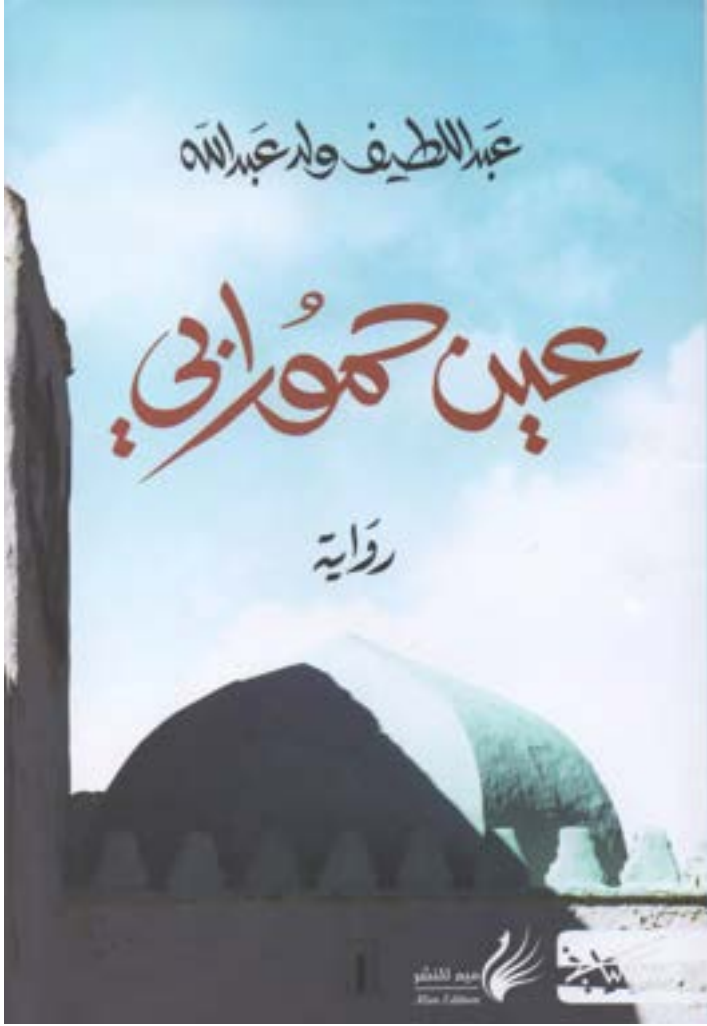
المتنوع الذي يفيد من تقنيات الحداثة وفن الكولاج والملصق والاعلان وقصاصات الصحف وغيرها.

**الاشتياق الى الجارة:** يعيد الحبيب السالمي في هذا العمل طرح الأسئلة الصعبة التي كان قد طرحها في بعض أعماله السابقة، وبخاصة في روايته "روائح ماري كلير"، والمتعلقة بالهوية الملتبسة، حيث الانسان العربي، والمتقف على وجه الخصوص الذي يرى في الغرب قبلته المنشوده التي يلوذ بها من بؤس واقعه الجحيمي، ما يلبث أن يصطدم بقسوة الواقع البديل، وبعدم قدرته على الاندماج الحقيقي في هذا الواقع. وهو ما يتضح بشكل جلي من خلال العلاقة العقلانية الباردة التي تربط الأستاذ الجامعي التونسي بزوجته الفرنسية، في مقابل تعلقه العاطفي المشوب بالخادمة زهرة التي تعكس في عمقها الأخير افتتاناً باللغة الأم، وحينئذ موازياً الى التراب الأصلي. إلا أن أهم ما في الرواية ليس موضوعها الذي تكرر طرحه من قبل الكاتب نفسه، وعند غير كاتب عربي، بل قدرته العالية على تحويل وقائع وأحداث عادية الى عمل فني غير عادي، من خلال أسلوب ماهر يتمتع بالليونة والرشاقة والرسم الحاذق للشخصيات.

**وشم الطائر:** عبر لغة عذبة ومترعة بالشجن تتصدى الشاعرة والكاتبة العراقية دنيا ميخائيل لفترة الاجتياح الداعشي لشمال العراق قبل سنوات عدة، وما رافقه من عنف وحشي وحوادث اغتصاب وتشريد للبشر، بمختلف انتماءاتهم الدينية والاجتماعية والاثنية، من بيوتهم الأمنة. على أن ميخائيل في عملها المميز تتخطى التوثيق العادي والتعبئة الايديولوجية لتتلمس المأساة من خلال البتر الداعشي لهناء العيش في قرية حليقي الأيزيدية، حيث يتنادى الناس بالصفير ويتعارفون بالأوشام، وحيث البراءة موزعة بالتساوي بين الطبيعة والبشر. أما العلاقة العاطفية المؤثرة التي ربطت بين إلياس وهيلين، وما تبعها من قتل الرجل العاشق ونجاة المرأة المعشوقة، بعد اغتصابها وبيعها كجارية، فتبدو كما لو أنها فصل جديد من فصول الأسطورة البابلية المتعلقة بإنانا وديموزي، أو تموز وعشتار، أو كأنها (تايتانيك) رمزية يتواجه من خلالها اليأس مع الارادة، والحب مع الموت.

شوقي بزيغ

رئيس لجنة التحكيم 2021



الناشر: دار ميم للنشر، 2020

العنوان: الجزائر

البريد الإلكتروني: [mim\\_edition@hotmail.fr](mailto:mim_edition@hotmail.fr)

الترقيم الدولي: 978-9938-24-128-0

حقوق الترجمة العالمية: دار ميم ودار مسكلياني

## عين حمورابي عبد اللطيف ولد عبد الله

ملخص الرواية:

نعرف منذ الأسطر الأولى أن الرجل الجالس أمام المحقق دخل التكنة هاربا من سكان دوّار "سيدي مجدوب"، الوليّ الصالح الذي نبش قبره مع صديقه الألماني بحثا عن آثار قديمة. يجد البطل نفسه في مواجهة تُهم عديدة منها التآمر على الوطن بالعمل مع جهات أجنبية ومنها القتل، وتُعرض عليه صفقة: توفير الحماية من الحشود الغاضبة في مقابل الاعتراف بكل شيء. وفي رحلة الاستنطاق يجنح إلى غواية السرد مرتداً إلى ماضٍ يكشف جذور أزمته، وتنطلق حكايات يتداخل فيها الواقعي والتمخيل، والوهم والحقيقة.



عبد اللطيف ولد عبدالله، كاتب جزائري من مواليد مستغانم، الجزائر 1988. حصل على شهادة مهندس معماري من جامعة الجزائر وله مقالات ونصوص منشورة في الصحف والمواقع العربية تتناول مواضيع ثقافية. صدرت له ثلاث روايات: "خارج السيطرة" (2016)، "التبرج" (2018) و«عين حمورابي» (2020).

# فصل من رواية "عين حمورابي"

## المأدبة

حين وصلنا إلى المطعم وجدنا طاولات "البيفيه" مصفوفةً بأطباق الجمبري والسَّلْطَة والفواكه بالإضافة إلى عجلٍ مشويٍّ كان يتوسَّط طاولةً منفردةً وحوله تتوزَّع المقبلات. أخذت صحنًا وملأته بالسَّلْطَة وقليلٍ من الجمبري واللحم. ثمَّ انتبذت مكانًا قصيًّا لأتناول وجبتي بهدوءٍ. لم تكن لي رغبة في الحديث مع أحدٍ بعد ما جرى مع هاردي وصديقه هيلين بلانك. انتابني شعور بالذنب، لكنَّه سرعان ما تبخَّر حين رأيت كؤوس النبيذ تتراقص أمامي. سمعت أحدهم ينادي باسمي. التفتَّ ولم يكن غير (ك). دعاني إلى طاولته التي تحلَّقت حولها مجموعةٌ من التقنيين وباحثي الآثار. اتَّجهت إلى هناك فشعرت بالضيق وأزواجٌ من الأعين تتفحَّصني بعنايةٍ بينما أتقدِّم نحو (ك). مددت يدي لأصافحه، لكنَّه بدلًا من ذلك انهال عليَّ بجسمه الضخم وعانقني بقوةٍ حتَّى انقطعت أنفاسي. وقبل أن أستعيد نَفْسِي ضرب بكفه الضخمة على ظهري فاهتزَّت رئتاي بعنفٍ وخيَّل لي أنني سمعت شقًّا في عظام الترقوة. كسَّر عن أنيابه الحادَّة. ثمَّ همهم بكلماتٍ ألمانيَّةٍ بيئيَّة. وبعدها قال:

– أهلاً. أهلاً بالحمّراس. كان يومًا رائعا. أليس كذلك يا صديق؟  
1 Willkommen لنشرب نخب كلِّ من مرَّ على هذه الأرض.

رفع كأسِي نبيذ في مستوى جبهته العريضة. وناولني إحدهما. ثمَّ أشار بالكأس الأخرى نحو المتحلِّقين حول المائدة.

– Meine Freunde<sup>2</sup>

توقَّف الجميع عن التثرثرة والتفتت الرؤوس نحو (ك).

– نخب أجدادنا الأوائل على هذه القارَّة ونخب المستقبل الذي سيجمعنا بهم من

(1) أهلا بك

(2) أصدقائي

جديد، نخب كل من أثار لنا الدرب الطويل من بختنصر إلى شليمانهينريك Lass<sup>3</sup> uns freirn<sup>3</sup> ولنشرب نخب نابونيد<sup>4</sup>. وأرثر إيفانس وكلّ المخلصين في هذا العالم. نكّرني حديثه بأيام الجامعة عندما أَلقت إحدى الباحثات - وكانت في نهاية الثلاثينيات - محاضرةً حول تاريخ علم الآثار والتقنيات المستعملة في التنقيب بمدينة هامبورغ. كنت أحد المشاركين في دورة تكوينيةٍ محورُها كيفيةُ التعرف على آثار ما قبل الميلاد، بحضور رجال أعمالٍ وعلماء جيولوجيا وأثار. تحدّثت تلك المرأة الصارمة الملامح عن ملوك بابل من الكلدانيين. ومن خلال شاشة العرض كشفت عن آثار الأتولين كالمعابد والقصور. وشرحت للحضور أمر اهتمام ملوك بابل بالزخارف المعمارية في بقايا مدينتي (أور) و(الوركاء) في العراق. فهمت من حديثها أنّ الملك (بختنصر) قام بحفريات وترميمات في مدينة (أور) وكذلك فعل بعده الملك (نابونيد) رفعت الكأس إلى فمي. ثم أفرغتها في جوفي. أعدتها فارغةً إلى الطاولة. وجلست بعدها صامتاً أنصت للضحج والصخب، يغمرنى إحساسٌ غريبٌ بالكآبة وكأنّ العالم الذي أعيش فيه بعيدٌ جدّاً عن هذا العالم الذي حولي الآن. كان عالمي مدفوناً في مكانٍ سحيقٍ يستحيل الوصول إليه. ما معنى أن أشعر بالوحدة واللّانتماء ولا أتمكّن من رؤية ما يراه الجميع هنا؟ رفعت كأساً أخرى إلى فمي. وتجرّعت المرارة، تلك المرارة التي تصبح لذّة حين تعتاد عليها.

ملأت كأساً ثالثةً ورابعةً. ثم غرقت في التفكير وفي معنى ما أفكّر فيه. بدأت أصواتهم تصلني بعيدةً وباهتةً. وبدأت أنسحب من الحاضر رويداً رويداً. فترأت لي صورَ الماضي حيث تقف امرأةٌ مطرقةٌ وسط الظلام، ينسدل شعرها الفاحم على وجهها بطريقةٍ غريبةٍ. بدأت تدنو مني شيئاً فشيئاً. لم تكن تمشي، بل تقترب وهي لا تكفّ عن مناداتي باسمي، حتّى ارتفع صوتها وأصبح يشبه الخوار. هممت بإغلاق أذني. فتحجرت. ووجدتني أرى مشهداً فظيلاً من الدماء وهي تكسو ملابسها باللون الأحمر وتتدفّق من بين فخذَيْها على الأرض في شكل ينبوعٍ غزيرٍ.

أخرجني من شرودي صوت (ك) الجهوري بعد أن قطع حديثاً له مع رجلٍ آخر في الجهة المقابلة من الطاولة. واتّجه بحديثه إليّ. فبرزت أسنانه الحادة، وتقلّصت عيناه، وظهر منهما لمعانٌ مبالغتٌ.

(3) لنحتفل.

(4) آخر ملوك بابل، أمر بالتنقيب عن أسس معبد ليكتشف من بناه من أسلافه. وقد عثر على حجر الأساس الذي نقش عليه اسم (نرام سن) بن (سرجون) الأكادي الذي أمر ببناء ذلك المعبد قبل خمسة وعشرين قرناً من زمن (نابونيد).

- لاشيء يضاهاى اكتشاف الحقيقة ومعرفة كيفية عيش أسلافنا على هذه الأرض.  
5 Stimmst du nicht zu

بتعبٍ بالغٍ هزرت رأسي موافقًا، وحاولت التركيز على صورته كي لا أبدو شارذ  
الذهن.

- نحن الآن نعزي الماضي لنكتشف حاضرننا. إننا نجهل تاريخنا بوصفنا نوعًا  
متطورًا من الكائنات، نجهل كيف أصبحنا هكذا ومن أين جئنا وما هي الظروف التي  
جعلتنا نصح على ما أصبحنا عليه اليوم. ألا توافقني الرأي؟

كانت عيناه ذابلتين ووجهه محمرًا من أثر الشرب. سمعت عن هذا الرجل أشياء  
كثيرة، أغربها تناوله وجبة فاخرة من لحم الماموث. كانت تلك أعلى وجبة على  
الإطلاق قد يتناولها أي شخص في العالم. سمعت من أحد الجالسين أن أهالي قرية  
ناحية في نواحي سيبيريا عثروا قبل سنوات على حيوان ضخم متجمد بشعره ولحمه،  
بل بدمه المتجلط والطعام الذي في معدته أيضًا. حدث ذلك بعد أن ذابت الطبقة  
المتجمدة هناك، فأخذ اللحم يتحلل تحت حرارة الشمس، وانبعثت منه رائحة كريهة  
جذبت الكلاب إليه. كان وجهه (ك) يزداد احمرارًا. فظننت أنه تحت تأثير الشراب، لكن  
نظرته المركزة جعلتني أفكر في قول شيء مناسب. أحسست بقطرة عرق باردة تنزلق  
على ظهري. وكانت الرؤوس كلها تتجه نحوي كأنني نبي ينتظرون منه أن يرتفع  
فوق الأرض بإحدى المعجزات. تناولت جرعة كبيرة من النبيذ. وعندئذ تلاشى  
الحضور من حولي وبقيت صورة (ك) وحدها أمامي.

- ماذا لو فات أوان كل هذه الاكتشافات؟! ففي وقت بحثك عن حيوان عاش منذ  
آلاف السنين تنقرض في الوقت نفسه عشرات الأنواع من الحيوانات والنباتات تحت  
أنظارنا وأمام العالم. أرى أن الإنسان لا ينظر دومًا إلى ما يملك بل إلى ما يفتقد. ماذا  
أفدنا من معرفة التاريخ ونحن نكرر القتل والحرب والدمار في كل مكان؟! أرى كل ما  
سنكتشفه في المستقبل يكون دليلاً على انقراضنا نحن أبناء هذا الجنس البشري.

- Bravo mein Freund<sup>6</sup> ، تفكيرك صائب ويستحق شرب نخب آخر.  
صب لنفسه كأسًا أخرى وأفرغها في جوفه دفعة واحدة. وقبل أن يبلغ الشراب  
معدته اندفعت الكلمات من فمه كالريح:

- حسنًا، أوافقك الرأي إلى حد بعيد، وأرى مثلك أن الشر متأصل في الإنسان، لكن

(5) ألا توافقني؟

(6) برافو صديقي.



توجد استثناءات يمكنها أن تقرّر مستقبل البشر. أرى في هذه المرحلة أن نتناسى قسوة العالم لنتماهى مع بهجة الاكتشاف. يمكننا أن نوقف الدمار ونوجّه اهتمام الإنسان إلى أشياء أخرى من خلال العلم، لأنّ اليأس يولد العنف والأرض لن تسع البشر بعد مائتي سنة، لذلك نحن نحاول فهم ماضيها لإنقاذ ما نستطيع إنقاذه في المستقبل. نحن اليوم نتحكّم في العالم بفضل أسلافنا القدماء وما قدّموه لنا من ثمار إنجازاتهم. لقد تركوا لنا إرثاً عظيماً بعد أن مهّدوا لنا الطريق لنواصل الحياة لأنهدرها في الحروب والدمار.

liebe Freunde<sup>7</sup> –

رفع صوته فجأة فتغيّرت لهجته إلى الجدّية وبدأ يخاطبني من خلال الجميع وكان واضحاً أنّه ثمل.

– نحن الآن على وشك اكتشاف أعماق هذه الأرض حيث تختبئ مدينة يصل عمرها إلى ستة آلاف سنة تقريباً. هنا من المتوقع أن يكون القصر عظيماً. ولعلّه من بقايا مدينة عظيمة يُحتمل أنّها تحتوي على مدرجات وحمامات معدنيّة ما دامت في المنطقة منابغ طبيعيّة. أعتقد أنّ انفجاراً بركانياً حدث في المنطقة خلال تلك الفترة، ممّا خلف جِمماً وغازات سامّة قاتلة.

ملأ كأسه وأخذ يبلّل قلبه بالنبيذ الأبيض. ثمّ واصل.

– وهكذا دفنت المدينة تحت الأنقاض ونُسي أمرها آلاف السنين، حتّى جاء الرحّالة الشهير هاينريش فون مالتسان<sup>8</sup> وقد زار الموقع سنة 1857 معتمداً على خرائط الطوبوغراف كاريت<sup>9</sup> في البداية لم يكن هاينريش يعتقد في وجود أيّ مدينة هنا، بل انصبّ اهتمامه كلّهُ على خطّ الليمس الذي شيّده الرومان، وهو في الواقع موانٍ لنهر الحور، بلغ مداه قرب أوماش إحدى بلديات بسكرة في عهد الإمبراطور هودياق، وقد بُني بهدف منع تسرّب قبائل الجيتول الصحراويّة إلى الشمال. كان هاينريش فون مالتسان يتخفّى في زيّ عربيّ ويتكلّم لغاتٍ عديدةً من بينها اللغة

---

(7) أصدقائي الأعداء

(8) هاينريش فون Heinrich Von Maltzan (1874-1826) رحّالة ألمانيّ أهتمّ بحياة الشعوب الشرقيّة ولاسيّما المغرب العربيّ، زار المغرب والجزائر وتونس كما زار مكّة متنكّراً في زيّ حاج. كتب الشعر والنثر ومن بين مؤلفاته: «ثلاث سنوات في شمال عربيّ إفريقيا»، «مدخنو الحشيش»، «رحلة حجّي إلى مكّة». مات منتحراً.

(9) طوبوغراف عسكريّ فرنسيّ يعتبره البعض أوّل من ربط التاريخ بالجغرافيا.

العربيّة واللّهجة المغاربيّة بالخصوص. فجلّب معه عدداً من العرب - بعد أن وعدهم بالثروة - مصحوبين بعددٍ من اليهود المُعَدَمين بغية حفر مواقع ظنّ أنّ بقايا جدران الليمس موجودةٌ فيها. وهكذا قَسَم هاينريش العمّال إلى فريقين أحدهما على الضفّة الغربيّة من النهر والثاني على الجانب الشرقي. وبالفعل بدأت أعمال الحفر، وكانت أدواتهم بسيطةً جدّاً تتمثّل في الفؤوس والمعاول. مؤخّراً عثرنا على مذكّراتٍ له ضاعت أثناء الحرب العالميّة الثانية. وقد جاء فيها أنّ مشروعه باء بالفشل. فبعد أن يُنْس العمّال من إيجاد شيء - ظنّاً منهم أنّ أسبوعاً من الحفر بالمعاول والفؤوس سيكون مدّة كافيةً - تألّبوا عليه لقتله والاستيلاء على أملاكه. لكنّ صديقاً مخلصاً له أخبره بالمؤامرة، ونصحه بالفرار قبل مجيء الصباح. وبالفعل فرّ هاينريش ونجا من المصيدة. وقد أشار في مذكّراته إلى أنّه دسّ في جيبه مخطوطاً ثمّ سلك طريق المنحدرات والشعاب حتّى بلغ مغارةً قديمةً مكث فيها مدّة يومين من الترقّب والخوف. وعند خروجه من مخبئه في اليوم الثالث رأى من ذلك الارتفاع عند المغارة هضبةً مسطّحةً تتخذ شكلاً مستطيلاً يتخلّله بعض دَبْشٍ بدا مصقولاً بيدٍ بشريّة. وهكذا بدأ الاكتشاف صدفةً. دوّن هاينريش ذلك بدقّةٍ بالغةٍ، إذ وصف ارتفاع المنبسط ومساحته بالتقريب فعاد إلى الموقع مرّةً أخرى فوجده خالياً بعد أن سطوا على كلّ معدّاته. بعد تلك الحادثة بسنواتٍ تأسّست جمعيّة نشريّةٍ وهران قصد العناية بالمعطيات الجغرافيّة والمعالم الأثريّة بإقليم وهران. وفي سنة 1884 زار هذا الموقع أثريّون كثيرٌ من الجمعيّة من بينهم دوميرغ والكومندان ديميّاط اللذان نشرا صفحاتٍ علميّةٍ عديدةً تكشف عن عثورهما على بقايا بشريّةٍ من الباليوليتي الأسفل. لكنّ العمل لم يتطوّر، وظلّ حبيس الأوراق. وفي مقابل ذلك انصبّ اهتمام الباحثين على المدن الرومانيّة في شرق البلاد وشمالها.

رفع (ك) الكأس إلى فمه. ثمّ دفع بها مرّةً واحدةً إلى جوفه. مسح فمه بباطن كفّه اليسرى. وتوهّجت عيناه تحت ألق الضوء. كانت كأسى الأخيرة في طريقها إلى فمي حين قاطعني:

Mein Freund -

رأيت شعيراتٍ دمويّةً رقيقةً في بياض عينيّه، ثمّ حرّك لسانه الثقيل وقال:  
- غداً ستذهب إلى الدوّار وتزوّدنا بعمّالٍ أقوياء وبأجرةٍ جيّدة.  
كانت الكأس لا تزال في منتصف الطريق تنتظر إفراغ حملتها حين وقفت هيلين بلانك عند رأسي.  
- سأرافقك غداً.

حملق (ك) في المرأة مرتبكا وسط النظرات الموجهة إليه. ارتعش خذاه ثم أطرق برأسه إلى الطاولة وهلة. ثم رفعه نحوها مجدداً.

- لا داعي لذهابك إلى الدوار.

- ! Nein أصراً. أنت لست رئيسي في هذا المكان.

نفحتني أنفاسها المحملة برائحة الويسكي. تلقى (ك) صراخها الحاداً. وتلقيت أنا رذاذ لعابها على رقبتني. أردت أن أمسحه بمنديلي، لكنه كان بحوزتها.

- يمكنني التنقل حيثما أشاء، ؟ hast du verstanden<sup>11</sup> فعلي يقتضي ذلك. ولا يمكنك أن تملي علي أوامرك.

- اهدئي يا هيلين، . Wie du willst<sup>12</sup> ستراقبينه غداً.

- هكذا أحسن.

ثم اختفت بغتة. ولم أعد أرى إلا الكأس التي مازالت تنتظر في منتصف الطريق بسبب دهشتي. وبطريقة عجيبة انزلق الشراب المر إلى حلقي. فأحسست بسخونة طارئة تصعد إلى دماغي. عندما بدأ الجميع يغادرون المطعم بمن فيهم (ك) خرجت أمشي الهوينى على جانب السفح حيث اعتدت رعي الماعز في طفولتي. كنت أستمع لوقع الحصى تحت قدمي. ولاح لي الدوار من بعيد وقد أسكته النل في ذلك الليل البهيم. أردت القيام بجولة أخرى في الأرجاء. فما فائدة المكوث في الخيمة وانتظار الصباح من دون عمل شيء مفيد؟! وجدت دونالد هاردي يقف على حافة منحدر صخري غير بعيد عن موقع الحفر. كان يمج سيجاره وينفث الدخان من منخريه. فوقفت عند رأسه. وبحثت عن مقدمة لكلامي. فإذا به يباغتني:

- Mein friend قل ما تريد، ها أنا أستمع إليك.

طلبت منه مبلغ ألف دولار.

- ألف دولار. ماذا ستفعل بها هنا؟

هزرت رأسي متحرّجاً، لكن ذلك لم يطل، إذ أدخل يده في جيبه. وعدّ مجموعة من الأوراق داخل محفظته. ثم سلّمني المبلغ. كان يبدو في مزاج رائع نظراً إلى هدوئه وطريقة تصرّفه غير المعتادة معي.

- لا شيء أروع من هذا السكون. انظر، كم يبدو المكان هادئاً هنا!

(10) لا.

(11) هل فهمت؟

(12) كما تشائين.

خرجت الكلمات من فمه ثقيلةً مضمخةً برائحة الشراب.  
- إنه هدوءٌ خادعٌ. هنا تختبئ الشرور وراء أقنعة الخير.  
لوى رقبتَه وحوّص عينيه كأنه يقول لي: «ماذا تقصد؟». وفجأةً انطلق من الظلمة صوتٌ أمّ.

- سيدي أطفئ السجارة وغادرا المكان فورًا.  
تبيّن بعد إمعان النظر أنّه أحد أفراد الدرك الوطني. كان أحد المكلّفين بحراسة البعثة.

- Verdammt. ألا يمكننا شمّ الهواء الطلق أيضًا؟  
- عذرا سيدي، لكنّها الأوامر.

قلنا راجعين إلى الخيمة. وكنت لا أزال منتشيا بالشراب. أحسست بحرق في معدتي وبالصداع النصفيّ يزداد إلحاحًا بعد كلّ دقيقةٍ دار لساني في فمي ثقيلًا. وشعرت بحاجة إلى الحديث مع أحدٍ فتحت فمي لأتكلّم، لكنّ الأمر كان أصعب ممّا تصورت. أخيرًا وصلنا إلى الخيمة. وأخذ كلّ منّا مكانه في صمتٍ. تمدّد هاردي على فراشه. وجلست أنا القرفصاء أنظر إلى السقف المائل مفكّرًا في أشياء لم أقلها من قبل. أردت التحرّر منها. أردت أن أقول شيئًا ما. كنت أعرف أنّ الطريق الوحيدة إلى فعل ذلك هي الحديث مع شخصٍ أثق به. وحين التفتُ إلى هاردي وجدته يغطّ في نوم عميقٍ. أغلقت عيني لأصغي إلى الصوت الذي بداخلي. لم يكن صوتًا واحدًا. كنت مرتبكا بخصوص المستقبل. يقول صوت خافت: «أنت جبانٌ وخائفٌ، ولا يمكنك أن تواجه الحقيقة كما يواجهها الرجال». وفي مكان ما سمعت صوتًا آخر أكثر ارتفاعًا يقول: «أنت لم تأت إلى هنا من أجل العمل، وعليك أن تذهب إلى هناك وتكتشف نفسك من جديد». وأزعجني صوتٌ ثالثٌ كان أكثر قوّةً وإلحاحًا: «ما حصل قد حصل، وعليك أن تمضي في طريقك ولا تلتفت إلى الوراء». كنت منزعجًا، حتّى إنّي وقفت فورًا ولم أعرف ما ينبغي فعله. ومن دون تفكيرٍ وجدّني خارج الخيمة مجدّدًا.



الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2020

العنوان: عمان، الأردن

الموقع الإلكتروني: [www.airpbooks.com](http://www.airpbooks.com)

البريد الإلكتروني: [mkpublishing@terra.net.lb](mailto:mkpublishing@terra.net.lb)

الترقيم الدولي: 978-614-486-140-0

حقوق الترجمة العالمية: المؤلف

# دفاتر الوراق جلال برجس

ملخص الرواية:

تتكئ هذه الرواية على حكايات تُروى من خلال عدد من الدفاتر في إطار زمني بين عامي 1947 و2019 عن أشخاص يفقد بعضهم بيوتهم، ويعاني البعض الآخر أزمة مجهولي النسب. تتقاطع مصائر الشخصيات بعضها ببعض فتبرز قيمة البيت الذي يحمل رمز الوطن مقابل أكثر من شكل للخراب. إبراهيم، الشخصية المحورية، وراق مثقف وقارئ نهم للروايات إلى درجة أن تتلبسه شخصيات الروايات ويجد نفسه يتصرف عبرها، لكن جراء العزلة والوحدة وما عاشه من قسوة في عالم صاحب، تتفاقم حالته النفسية فتكتمل إصابته بفصام الشخصية ويحاول الانتحار، قبل أن يلتقي بالمرأة التي تغيّر مصيره.



جلال برجس شاعر وروائي أردني من مواليد 1970. يعمل في قطاع هندسة الطيران. عمل في الصحافة الأردنية لعدد من السنين وترأس عددا من الهيئات الثقافية وهو الآن رئيس مختبر السرديات الأردني، ومُعدّ ومقدم برنامجا إذاعيا بعنوان "بيت الرواية". له عدة مجموعات شعرية وقصصية وروايات. نالت روايته "مقصلة الحالم" (2013) جائزة رفقة دودين للإبداع السردية عام 2014، كما فازت روايته

"أفاعي النار" (في فئة الرواية غير المنشورة) بجائزة كتارا للرواية العربية 2015، وأصدرتها هيئة الجائزة في العام 2016. وصلت روايته الثالثة، "سيدات الحواس الخمس" (2017)، إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية 2019.

## فصل من رواية "دفاتر الوراق"

إبراهيم  
(حَمَل شَرِير)

كنت مثقلاً بالحزن كقطعة إسفنجة أشبعت بالماء حينما نظر رجل في السبعين من عمره بوجهي وهو يدفع لي ثمن كتاب اشتراه، ثم قال قبل أن يمضي متوكأً على عكازه واختفى في زحام وسط البلد: (كلما كثر صمتك كبر حزنك).

بعد كل تلك السنين ها أنا أتذكر ما قاله ذلك الرجل وأكتب رغم قناعتني من أن الكتابة لن تجعلني أنجو مما وصلت إليه، ولن تردم هوة معتمة تخلقت بي على نحو مبهم، بل لأعطيها فأحظى بسكينة لو حدثت لي ستجعلني أبتسم بوجه أي وجع مهما بلغت درجاته. ليتكم تتخللوا حجم سعادتني بهذا الدفتر ذي الورق الأبيض الصافي، وهذا العدد من الأقلام، أثنى هدية في حياتي الغربية قدمتها لي امرأة حينما رأيتها لأول مرة شعرت ببرق يهوي في سماء روحي، أقسم أنني شعرت بهذا، فعرفت أن للحب يدًا قادرة على انتشار غريق يلفظ نفسه الأخير في بحر هذه الحياة المالح. لكن هل عشت أم مت؟ سؤال ظل معلقًا منذ تلك السنة أمام عيني وأنا أرى كيف تركت الغرابة كل شيء في هذا العالم وأنت لتلتصق بي كذرات معدنية تتكوم على قطبي بمغناطيس.

أنا رجل وحيد لا طريق لي غير التي تأخذني من بيتي في (جبل الجوفة) إلى وسط البلد، حيث كشك الوراق الذي كنت أملكه. وحيد بشكل لا أدري إن استطعتم فهمه أم لا في مدينة عالية الضجيج. لم أهتم بأحد، ولم يهتم بي أحد إلا امرأة تجاورني ولا أدري من أين أتت، وما هي قصتها. لم أرها تخرج من بيتها الذي يقع في الطابق الثاني لبناية قديمة تواجه بيتي، رأيتها لمرات قليلة في الشرفة لا يظهر من وجهها سوى عينيّن من وراء النقاب وهي تنشر الغسيل. في إحدى تلك المرات أقلت لي بورقة وأشارت بيدها نحوها، التقطتها وكان فيها كلمات قليلة: (تعال عندي بعد منتصف الليل، أريدك بأمر هام). لكنني لم

أذهب، فلا فضول لدي لمعرفة ما تريده مني، ولا رغبة جنسية رغم أنني فكرت مثل غيري من الرجال باحتمال دعوتها لي إلى سريرها، لا يعني هذا أنني قديس لكنني مكتفٍ بطريقة أعرف أنها سلبية ومنفرة، فما إن يطلق جسدي نداءاته حتى أستلقي في سريرتي وأستحضر امرأة من روايات أغرمت بها، مثل إزميرالدا العجبية الفاتنة يوم رقصت في احتفال المهرجين في رواية أهدب نوتردام، أراها تفتح باب الغرفة ورائحة عطرها النفاذ تسبقها، فتفوق تلك النيران المتوارية بي، تدور حول نفسها بفستانها الملون فأرى جسدها المصقول ومؤخرتها اللدنة. ترقص كأنها تروض نحلاً عند فم وردة في روحها، ثم تتعري وتستلقي بجانبني فنروح في لذة تضرم جسدينا إلى أن ننتفض كوعل تلقى رصاصة في الجبين فارتعش واستسلم للسكون والبياض. تذكرت جارتني حينما كنت مستلقيًا في تلك العصاري، أهدق بطبقة رقيقة من طلاء سقف الغرفة الرطب المتعفن فوق رأسي مباشرة وعلى وشك السقوط، تتأرجح بفعل نسمة تشرين الثاني الشهر الذي كان قد حلَّ للتو. كنت أتخيل لحظة سقوطها وإلى أي شكل ستؤول، وأتساءل عن كل ذلك المصير، فالأشياء لا تسقط جزأفًا؛ فكرة بدلت مسار العالم حينما هوت التفاحة على رأس نيوتن. يوم قالوا لي أن أمي ماتت سمعت صوتًا همس بأذني: (لقد سقطت). تلفتُ حولي فلم أجد إلا أبي يبكي بصمت. لقد كان الصوت ذاته الذي أخذ يهمس لي منذ أن رحلنا من بيتنا الأول قبل خمسة وثلاثين عامًا وتحديدًا عام 1980. كان يمكنني أن أخبر أي واحد من عائلتي بشأنه، لكن من كان سيصدقني. يوم وفاة أمي حسبت أنها ماتت من دون مقدمات فلم أكن أدري أن السرطان كان ينهش جسدها. في السنوات الأخيرة من حياتها وحينما ساء حالنا جلست إلى بسطة خشبية تباع حشائش لا يأكلها إلا فقراء هذه البلاد. لقد ضاق الحال وصار مزريًا شبيهاً بطرقات وشوارع وشكل بيوت جبل الجوفة. كانت تداري ألما في معدتها، كلما استبد بها تشرب مغلي الميرمية وتوهمنا بأنه غادرها، إلى أن أتت الجارات يحملنها مغشيًا عليها، قالت إحداهن إنها استفرغت سائلًا ثقيلًا له لون القهوة، وقال الطبيب في مستشفى البشير إن هذه إشارة على إصابتها بسرطان المعدة، وماتت عند أول عملية جراحية. أصابت أخي عاهد نوبة عصبية انقضت إثرها على الأطباء، وحطم كل شيء تقع عليه عيناه. أما أنا فكنت أقف بقرب والدي صامتًا بلا قدرة على أن أذرف دموعًا واحدة؛ حزن قاس يتقاطع به انشغالي بالصوت الذي همس بأذني قائلاً إنها سقطت.



بعد سنين اختفى أخي عاهد إثر صراخه بوجه أبي: (لن أكون نسخة عنك). في اليوم الأول اعتقد أبي أنه سيعود حين وجدنا هاتفه مغلقًا، لكن مع مضي اليوم الثاني أخذ القلق يساورنا فلا أحد من أصدقائه يعلم عنه شيئًا. في اليوم الثالث قدّم أبي بلاغًا حول اختفائه، وبعد أيام تلتقيت منه رسالة تفيد أنه ارتحل إلى تركيا وأنه سيمزق جواز سفره ويهاجر كلاجئ سوري. آخر رسالة وصلتني منه قبل أن تنقطع أخباره كانت مليئة بالقهر والوجع، شرح فيها كيف كان شكل إحساسه بلا عمل في حي لا يلتفت إليه أحد؛ حيّ دخن فيه الحشيش بمعية رفاق محبطين إلى أن فقد القدرة على الحلم. بقي والدي صامتًا حينما قرأ الرسالة، أمضى نصف ساعات الليل يقاطع يديه على صدره إلى أن دخل غرفته، فجاءني صوت بكائه مشبعًا بالوجع. بعد سنوات غادر والدي البيت، وجدته قد ألقى بالعقاقير المضادة للاكتئاب في سلة المهملات، وترك لي ورقة كتب فيها: (حصلت على عمل، لي منه يوم إجازة واحد كل أسبوع سأمضيه معك). أعدت مستغربًا قراءة ما كتبه لمرات، وما وصلت إلى نتيجة تبرر غيابه المفاجيء. عاد بعد أسبوع وأخبرني أنه كان في الشمال حيث عُيّن في مركز للدراسات الاستراتيجية، وأنه لن يستطيع العودة إلى البيت إلا يومًا واحدًا. مضى شهر زارني فيه أربع مرات، اختفى بعدها، فأبلغت الشرطة باختفائه بعد أن بحثت عنه كثيرًا، ثم استسلمت، ربما فعلت ذلك انصياعًا لأمنية دفينية في أن يغيب عني رغم حبي الشديد له، لقد لاح هذا الأمر لي في مناماتي، فالأحلام انعكاس لما يكتنز في أبارنا السرية مما لا يجب على الآخرين معرفته، لكنه عاد بعد سبعة أشهر من الغياب. استقبلتني رائحته عند الباب وأنا أهمّ بالدخول، ثم سمعت سعلته فأسرعت أبحث عنه، كان شارد الذهن لا يتحرك منه سوى خيط دخان سيجارته، في وجهه كثير من التعب، وفي عينيه بعض الكلام. لم يقل شيئًا عندما عاتبته على غيابه إلا عبارة قصيرة: (ستحدث لاحقًا). أويت إلى الفراش باكراً أستجدي النوم كأنني أهرب من هاجس ما، وحين غفوت أحسست بشعر لحيته على وجهي يقبلني فاستفتت. (لقد سمعتك تحلم) قال ذلك ثم غادر، وعدت إلى نومي. سمعت في اللحظات التي كنت أتأرجح فيها بين النوم والصحو جلبة في المطبخ، فنهضت وإذا بي أجده قد علّق حبلًا في سقف الغرفة ولفه حول عنقه، ووقف على الكرسي. كانت من أقسى لحظات حياتي؛ إذ رأيت أن المسافة القريبة بين باب المطبخ والكرسي تعادل مسافة عمري منذ الولادة إلى تلك اللحظة، تجمدت كل

الكلمات في حلقي، واستحال كل شيء إلى عتمة مرعبة اكتملت بسقوطه وبمنظر جسده المعلق في الهواء. ومنذ ذلك اليوم يلفني صمت مثل هذا الذي يحيط بي الآن من كل الجهات. وحيد، مثل قط أكتع لألوي على شيء في جبل بيوتُه صغيرة، شوارعه ضيقة، خطُّها مهندس ثمل، أناسه متعبون، مهمشون قبالة جبال باتت تصعد فيها أبراج تجارية، وفلل، ومولات، وتضج سماؤها ليلاً بألعاب نارية تشير إلى بهجات لم نذقها. أرى العالم عبر نافذتين: الأولى وفرها لي العدد الكبير من كتب قرأتها في كشك الورّاق بعد أن صار ملكاً لي إثر موت والدي، والثانية الإنترنت الذي مع مرور الأيام صرت خبيراً به إلى درجة أن بإمكانني اختراق أي حساب إلكتروني. عالم مواز للعالم الذي نعيش فيه بل إنّه سيصبح ذات يوم عالمنا الوحيد، والذي سنتحول فيه إلى كائنات رقمية توجهنا كما الأغنام في المرعى أيادٍ لا نعرف إلى مَنْ تعود.

عدلتُ من وضع الوسادة أتهياً للنوم وأنا ما أزال أحرق بالسقف. ثمة أصوات متداخلة تجيء من الخارج: صوت لامرأة تشتم ابنة لها لم تعاونها في عمل البيت، وتسب الانترنت الذي سرق الناس حتى من أنفسهم، وصوت آخر لرجل يردد أغنية تحكي عن الشوق، إلى جانب أصوات أخرى تأتيني من البيوت ترافقها رائحة ثوم مقلي، ورائحة حاوية قمامة. أخذ النعاس يقصي الأصوات، وشكل سقف الغرفة شيئاً فشيئاً إلى أن أغلقت جفني، لحظة فيها من المتعة ما يمكن لواحد مثلي لم ينم منذ أيام أن يقدرها، لكن سقوط طبقة الطلاء على وجهي بددها فجفئتُ، وطارتُ رغبتني بالنوم. نهضتُ ومشيتُ نحو المطبخ ماراً بالصالة من بين كتب تكدست بها: منها ما هو في صناديق ورقية، ومنها ما هو مربوط بخيوط مقوَّاة، وجزء منها متناثر هنا وهناك. فوضى من كتب (كشك الورّاق) الذي أقامه أبي على رصيف أول شارع (الملك حسين) عام 1981، ونقلتها إلى البيت قبل أسابيع بعد أن استلمت بلاغاً من أمانة العاصمة يشدد على ضرورة تركي للكشك؛ حيث سيتم توسيع الأرصفة، مع وعد بأن يتم تعويضني بمكان آخر ذات يوم، فما عاد لي عمل أعتاش منه.

شربت كأس ماء وعدت إلى سريري بخطى متناقلة، واستلقيت فيه. على طاولة صغيرة بقربي رواية (الأبله) لديستوفسكي، قرأت هذه الرواية لأكثر من مرة لكنني أعود لها مثلها مثل عدد من الروايات التي استوطنت شخصياتها ذاكرتي، وبت أقلد أبطالها، هواية لا أدري سببها وكيف صرت أتقنها على ذلك النحو الغريب. سألني ذات مرة أستاذ المدرسة بعد أن فعل ذلك مع معظم

الطلبة: (ما هي هوايتك يا إبراهيم الساهي؟) كناية عن قلة كلامي وسهوي الكثير. صرخ أحد الطلبة بوتيرة صوتية متسعة: (إنه بارع في التقليد). كان الأستاذ له اسم والدي (جاد الله) لكن شتان ما بينهما، الأستاذ (جاد الله) رجل متجهم وإن ضحك فله ضحكة صفراء يتبعها غضب حاد، منعتني ذات مرة من الذهاب إلى الحمام والمغص يفتك ببطني، فتغوطت على نفسي، من ذلك اليوم وأنا أكن له كرهًا شديدًا. اقترب مني بعينيه الضيقتين وقال بصوت فيه شيء من البحة المزعجة: (هيا إذن قم بتقليدي). لم أفعل لأنني لن أقوى على تقليد شخص لا أحبه، فقامت بتقليد أستاذ اللغة العربية، أغمضت عيني أتأمل صورته في مخيلتي، وأرخي عضلات وجهي، ثم حركتها إلى أن اتخذت ذات الشكل الذي عليه وجه أستاذ اللغة العربية، ورحت أحدث بالنبرة ذاتها، وأمشي بالإيقاع ذاته وهو يحكي بحب شديد عن المتنبي، هواية لا أدري لها تفسيرًا، وكيف يحدث هذا لي، بحيث يصبح شكل وجهي، وحركاتي مطابقة لمن أقلده، حالة احتارت بها عائلتي ثم مع الأيام تقبلوها رغم غرابتها الشديدة.

تحركتُ، فكسر صوت السرير حدة الصمت ورواية الأبله بين يدي، قرأتُ منها صفتين لكنني ما وجدت رغبة لأستمر، أمسكت بهاتفني النقال الخالي إلا من قليل من الأرقام، مثل رقم أخي عاهد الذي كلما استبد بي الحنين إليه أتصل به فيجيبني صوت أنثوي يفيد بأن الرقم مفصول، ورقم مقهى كنت أيام عملي في كشك الوراق أتصل به وأطلب قهوة أو ساندويشة، وأرقامًا غير محفوظة لزبائن الكشك. ضغْتُ أيقونة الفيس بوك فاقتادتني إلى شاشته الزرقاء وقد كنت من قبل سجلت فيه باسم ديوجين، لا أنشر فيه إلا نادرًا بعض المقتطفات مما راقتني من الكتب، ولا أمضي فيه كثيرًا من الوقت، فكرتُ بأن أكتب عما حدث للكشك وقد أزيل كما لو أنه كومة شوك في درب ضيقة، لكنني تراجعت كعادتي، واكتفيت بقراءة بعض ما نشره المستخدمون بجرأة بقدر ما أسعدتني جعلتني أيضًا أواجه الألم جراء خوفاي من كتابة سطر واحد يشكو ما حدث. ألقيت الهاتف جانبًا، واستلقيت في السرير أنظر إلى السقف أتأمل مكان طبقة الطلاء وأصوات جديدة تأتي من الخارج أعلاها صوت عبد الباسط عبد الصمد يقرأ سورة يوسف. فجأة دبَّت حركة في بطني ورأيتَه ينتفخ شيئًا فشيئًا إلى أن صار كبطن امرأة في شهرها التاسع. نهضت مفزوعًا أدور حول نفسي في الغرفة، ويدي تلامسانه ولا أفهم ما الذي يجري، وكيف ينتفخ بطني؟ خلعت

ملايسي وهرعت مرعوبًا نحو المرأة أتأكد هل ما أراه حلمًا أم واقعًا؟ كيف يحدث هذا؟ ما الذي يجري! فركت عيني أتأكد مما أنا فيه، ثم ركضت نحو صنوبر الماء ورشقت وجهي بحفنة منه لأكثر من مرة، لكن لا فائدة فقد كنت أمام حقيقة ماثلة في بطني، ركضت مذعورًا نحو باب البيت؛ فتعثرت بالكتب، وسقطت، ثم تعثرت مرة أخرى، حبوت إلى أن أمسكت بمقبض الباب، فسمعت الصوت الذي داهمني يوم ماتت أمي، لكنه أتى هذه المرة قويًا وواضحًا:

- ماذا ستقول لهم إن خرجت يا إبراهيم؟ سأتلاشى بمجرد أن تتجاوز هذا الباب. قلت لك منذ زمن حينما لم أجذك تطيع ما أقول: لا بد لي أن أفعل ما لم تفعله أنت، أيها الجبان.

لشدة الرعب خرجت ووقفت قبالة الباب لاهنًا وغير مدرك أنني عارٍ، إلى أن انتبهت إلى جارتي في الشرفة، فما إن رأته حتى وضعت يدها على عينيها، وعبرت مسرعة إلى الداخل وكتفاها يهتزان لفرط الضحك. عدت إلى المرأة أتفحص بطني مذهولًا وضحكات ساخرة تأتي منها، قلتُ وبالكاد أقوى على التنفس وبصوت مرتعش رغم عدم قناعتي بما أفعل:

- من أنت؟

- أنا الذي سأخلصكم من أوجاعكم، لا تستهن بي فإن هوت خطوتي على الأرض ستنهار أمامها بنايات ويتصاعد الغبار؟  
- لم أفهم. من أنت؟

كررت سؤالي لعدة مرات وبطريقة تشبه طريقة امرأة فوجئت بلص في أواخر الليل يباغت منزلها، لكنني لم أجد أي فائدة. ارتديت ملابسي على عجل وركضت نحو الباب، عاد الصوت يثنيني عن الخروج مؤكدًا أن ما أفعله لن يفيد بشيء، استجمعت ما تبقى من قواي، وخرجت أركض في الشارع بخطوات مرتبكة، واعترضت سيارة أجرة كادت أن تدهمني ثم ركبت فيها بسرعة، ورغم صعوبة قدرتي على النطق طلبت من سائقها أن يوصلني إلى مستشفى البشير.  
- هل أنت بخير؟

قال السائق متفاجئًا، ثم أخفض من صوت مسجلة كانت تبث أغنية شعبية سريعة الإيقاع، ثم حين لم يجدني أقول شيئًا أسرع ينبه عابري الشارع المختنق بعرضه الضئيل، وبالسيارات التي أمامه مستخدمًا بوق سيارته عبر الزحام إلى أن وصلنا المستشفى. ما إن هبطت من السيارة حتى عاد بطني منتفخًا، وعاد ذلك الصوت مهددًا وضاحكًا، ثم اختفى بعد أن تجاوزت باب

قسم الطوارئ، وجلست على أحد الأسرة أنتظر دوري بين المئات من مراجعين  
نفد صبرهم لطول الانتظار، كنت أرتعش بشدة ولا أكاد أقوى على ضبط حركة  
جسدي عندما توسلت طبيباً مَرَّ بقربي بعد أن أنهى فحص مريض مستلق في  
سرير جانبي.

– مم تشكو؟

قال بعجالة بعد أن وضع يده على جبیني. ثم كرر سؤاله عندما وجدني  
صامتاً:

– أخبرني ما الذي تشكو منه؟

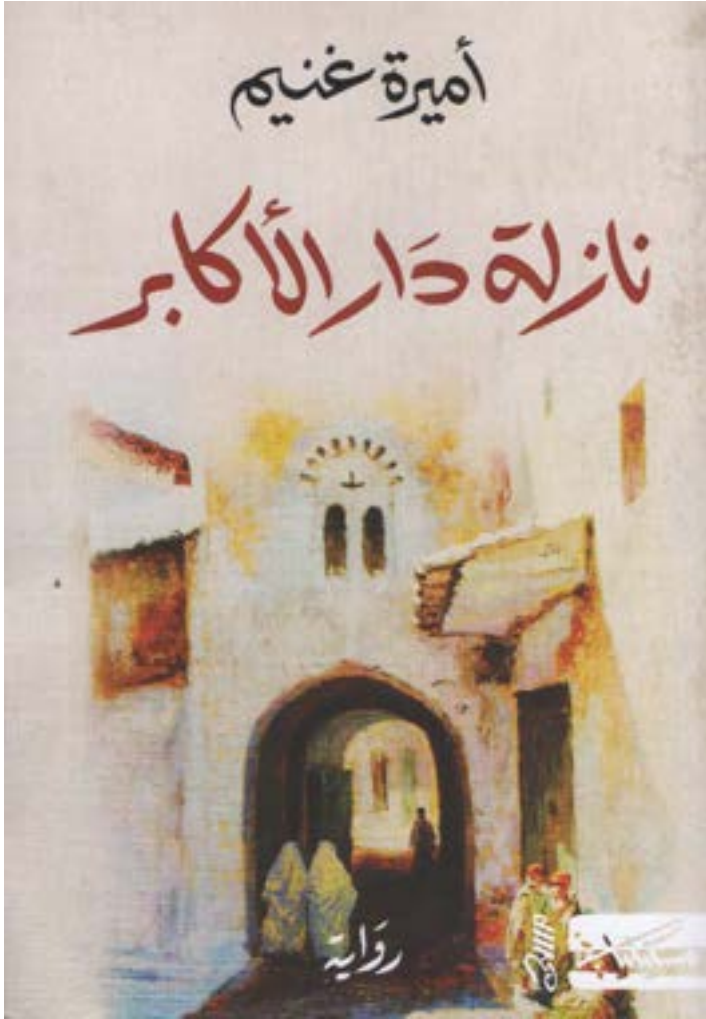
استجمعت قواي لنطق ولو كلمة واحدة، وقلت:

– بطني.

– تؤلمك؟

– لا.

استغرب الطبيب وتساءل عما بي، ثم جلس بطرف السرير وحثني على  
الهدوء. أمسك بيدي المرتعشة، فأخذت أقص عليه ما حدث. كان ينصت وعلى  
وجهه علامات استغراب تختلط بابتسامة تتراجع مرة وتظهر مرة أخرى. في  
ذلك اليوم أجروا لي اختباراً يكشف إن كنت قد تعاطيت المخدرات، ثم حين لم  
يجدوا شيئاً من ذلك القبيل قاموا بإجراء صورة تلفزيونية لبطني تفحصها  
الطبيب، ثم حدق بي وفي وجهه أمارات غريبة، فداهمني الخوف أكثر.



الناشر: دار مسعى، 2020

أوتاوا- كندا

موقع الدار: [www.masaapublishing.com](http://www.masaapublishing.com)

البريد الإلكتروني: [info@masaapublishing.com](mailto:info@masaapublishing.com)

الترقيم الدولي: 2-140-24-9938-978

حقوق الترجمة العالمية: دار مسعى ودار مسكلياني

# نازلة دار الأكابر أميرة غنيم

ملخص الرواية:

تروي رواية "نازلة دار الأكابر" فصولاً مهمة من تاريخ تونس المعاصر السري من خلال حكاية متخيلة بطلها المصلح الكبير الطاهر الحدّاد. وعلى الرغم من أن المراجع التاريخية لا تذكر شيئاً عن علاقة الحدّاد بالنساء عدا دفاعه المستميت عنهن فإن صاحبة الرواية تجزم بقوة الخيال أنه عشق "للاً زبيدة"، وتمنح النساء الصوت الأعلى لرواية الأحداث، كونهن حافظات الذاكرة الحقيقية وفاضحات الذكورية البائسة.



أميرة غنيم كاتبة وأكاديمية تونسية من مواليد 1978. حاصلة على التبريز في اللغة والآداب العربية، وعلى الدكتوراه في اختصاص اللسانيات وتعمل أستاذة اللسانيات والترجمة بالجامعة التونسية. صدر لها كتب حول الترجمة واللسانيات ورواية "الملف الأصفر" (2019) التي حصلت على جائزة الشيخ راشد بن حمد، عام 2020. "نازلة دار الأكابر" هي روايتها الثانية، وقد صدرت في عام 2020.

## مقطع من رواية "نازلة دار الأكابر"

\*\*\*

أحدّثك عن وقائع مضى عليها اليوم فوق الأربعين عاما.  
وقائع كتمتها في صدري فلم يعلم بها أحدٌ عدا الذين شهدوها من أفراد أسرتي  
الضيقة. أسرار عائلية مخزونة في صدور أصحابها حشروها بركنٍ مظلم ثمّ  
أسدلوا عليه ألف حجاب. وكيف لا يحجبونها وهي وقائعٌ مخجلة إذا انكشفت  
لفضول الناس حملت عقيبهم عارا تتوارثه السلالة كابرا عن كابر؟  
اعذريني يا بهيّة. ما استطعت أن أستأمنك على السرّ حتّى وقد علمتكَ طرشاء  
خرساء. فقد علّمني غدر زبيدة الشكّ في كلّ شيء، والحذر من كلّ شيء. أمّا الآن،  
وقد صرّت تحت اللهود، ولم يبقَ منك بعد عشرين عاما سوى كيسٍ من العظام  
تحت هذا اللوح الحجريّ البارد، فاسمحي بأن أعرض عليك سجلّ المآسي  
والأحزان فأكشف لك المستور وأطلعك على المحجوب.  
كان بيتنا دوحة مودّة وسلام، لا يرتفع فيه صوت، عدا ما يكون من بكاء ولديّ  
محمّد الحبيب ومصطفى إذا قرصهما الجوع، أو من مناوشات خدّوج ولويزة  
تتعاركان على سطلٍ أو مقشّة. ثمّ دارت الدوائر بغتة وضاقت وأطبقت، فإذا  
الدهر ينكبنا بما حوّل المودّة بغضا، والبهجة وجوما وحرنا، وبدل بالجحيم  
السلام، فقطّعت الأرحام وودّعنا دعة الأيام.  
فجأة وبغير علامة، وقع في دار القاضي عثمان النيفر ما لا يقع حتّى في ديار  
الأسافل من الناس. استغفلت الزوج زوجها، وكشف سلفها السرّ. غير أنّه لم  
يكشفه مضطرا، غيرة على أخيه أو إشفاقا عليه، بل أتى فعله متشقيّا شامتا  
كالعدوّ أمسك أخيرا على غريمه زلّة.  
كيف خانتني زبيدة؟ لماذا ومتى وأين؟ لن أعرف حتّى أموت. وهل خانتني  
حقّا كما صوّرت لي ظنوني أم إنّ الأمر لا يعدو أن يكون توّهما وإنشاء لما لا  
وجود له إلّا بخيال المتوجّس الشكّاك؟ أنكون القصة بأسرها مجرد خفقة قلبٍ



عابرة أسكنها المكتوب والقضاء والقدرة؟ لن أعرف أيضا. وليس يفيدني كثيرا أن أعرف. فليس أغبى ممن يقنع نفسه بأنّ خيانة القلوب أقلّ شناعة من خيانة الأجساد.

كنتُ ما أزالُ واثقا فيها وفي الحبّ الجامع بيننا، حينَ هجمتُ ليلتها على امحمدُ أريد قتله. أقبلت عليه، لمّا غدرني فأسال دمي، وقضيبٌ من حديد بيدي. وكنتُ أهمّ، والله، بغرسه في عينه، لولا أن ردّني عنه ظهور زبيدة. فقد برزت من غرفتها فجأة تنادينني. ولمّا كان قلقي عليها أكبر من حقدني عليه، فقد أرسلته من يدي وهُرعت إليها. فنجّا هو من موتٍ محقّق، ونجوتُ أنا من حبل المشنقة، أو من الندم بقيّة العمر خلف القضبان.

وظللتُ واثقا فيها وفي الحبّ بيننا، ساعة رأيتها تهجم على امحمد تلك الليلة ذاتها، فتخمش وجهه بأظافرها، وتشقّ بفصّ خاتمها فلحا عميقا تحت ذقنه نثت منه الدماء. حدث ذلك بعد أن خرج سي علي الرصاع ثائرا عليها لرفضها مغادرة دار النيفر انصياعا لأمره. من بعد خروجه مع ابنه وزوجته، انفضّ جمعنا. فقد أخذتُ زبيدة من ذراعها أريد أن أختلي بها في غرفتنا لأفهم منها خبر الرسالة وصرّة الخبز فتبعتنني صامته مدعنة، بينما سار والدي متوكّئا على امحمد يجزّ رجله الموجوعة. وهكذا أوشكتُ الليلة أن تنتهي على خير، لولا أنّه خطر لمحمد أن يُغري بنا الشيطان من جديد. فلمّ يتقدّم خطوتين وهو يُسند أباه، حتّى قرّر أن يغدّي الشّر مرّة أخرى. خاطب زبيدة بكلام مستفزّ، وجعل يهدّدها بالطلاق الوشيك مستهزئا، فإذا هي تخرج عن طورها. نفضت ذراعها من يدي في عنفٍ لم أعهدا قدرة عليه، ثمّ انقضّت عليه وهي تطلق صراخ المصارع في حلبة القتال. لا أعرف ما دار برأسها حينها، ولكنّها بدت كمن احتمل ضغطا لا قبل به لبشر، فكان لكلام امحمد وقع القشّة قصمت ظهر البعير. دفعته بكلتا يديها حتى إذا تداعى من المفاجأة أنشبت أناملها في وجهه وثيابه. واختلّ توازن والدي، فتمايل قليلا ثمّ انكفأ على وجهه وانفرطت عمامته. أمّا امحمد فقد أطلق صرخة ألمٍ والدم الشاخب من جرح ذقنه يسيل مع نحره ويتقاطر على صدره. أمسك نفسه عن ردّ الفعل، لكنّه دفع زبيدة بكلّ قوّته واندفع راكضا يطلب غرفته في الطابق العلويّ، فإذا بها تجري خلفه تطارده في مشهدٍ لا يكاد يصدّق. هل كان ينبغي أن ألحق بها بدلا من أن أسند والدي

وأساعده على بلوغ غرفته كما فعلت ليلتها؟ نعم. كان ذلك خطئي القاتل. ولكن أنى لي أن أتخيّل ما كان سيقع في ظلّمة المدارج المؤديّة إلى غرف العلوّ؟ وكيف يترك المرء شيخاً مصاباً في رجله ملقى وسط مياه الأمطار على الرخام البارد ويركض خلف فتاة في العشرين تطاردُ رجلاً جباناً؟

اختفى امحمّد وزبيدة في فرجة المدارج المسقوفة، ولكنّ وقع خطاهما على السّلم ظلّ يبلغني وأنا أدركُ بوالدي تحت البرطال وعيني على الشرفة المكشوفة في الطابق العلويّ، وقد توقّعت أنّ زبيدة وامحمّد يبلغانها بعد لحظات. لم أشعر بالقلق. فقد كانت نانا جنيّة قد سبقت إلى غرفتنا تتفقد مصطفى وتطمئنّ عليه، فلمّا انتهى إلى سمعها الهرجُ والصراخ، غادرت الغرفة على عجلٍ، وأطلّت علينا مفزوعة مبدية القلق، فأجبتها من موقعي بالصحن قائلاً:

لا بأس. لا بأس. تعثّر الحاج وأقمناه. وعليك الآن بزبيدة فهي في الطريق إليك تجدّ في إثر ابنك تريد افتراسه.

قلتُ ذلك بسخرية سوداء تناسب توترّ الأجواء. فقد وجدتُ في المطاردة غرابة كغرابة الحجلة تصيّد الدبّ. لم أتخيّل لحظة أن تنتهي المطاردة إلى ما انتهت إليه، ولا تصوّرت قطّ حجم البلاء القادم. لماذا لم تفرد الحجلة جناحيها في الوقت المناسب لتحلّق فوق ما خطّطته لها الأقدار؟ كيف تكوّمت في طرفة عين أسفل الدّرج تختلج وتصطك مثل فرخ ذبيح؟ لا أحد يعرف حقاً ما حدث. فقد قال امحمّد وهو يركض إليها مع الراكضين:

وطئت مقدّم فوطتها حالماً بلغت الدرجة الأخيرة فزلت قدمها وتدرجت إلى الأسفل.

أمّا هي فقالت حين استعادت وعيها بعد أيّام:

دفعني امحمّد بمرفقه حين أمسكْتُ بقميصه من دبر، ففقدت توازني وسقطت. ولم يُغيّر أيّ منهما أقواله بعد أن تواجهها. أقسم امحمّد بأنّه لم يضع عليها ولو اصبعا، وأقسمت بأنّه السبب في الحادث وإن عن غير قصد. لم نعرف أيّهما يكذب قطّ. فكُلّ ما سمعناه ليلتها صرخة رهيبّة يصحبها صوت ارتطام متتابع أعقبهما صمت مرعب ثقيل. أدركتها وهي جاثية في كعب المدارج هامة بلا حراك. وحدها بقعة الدّم تحت رأسها راحت تتّسع على نحو مخيف.

كانَ مشهدا كابوسياً جديرا بأعنى أفلام الرعب العالميّة. وما زلتُ إلى اليوم، كلِّما استحضرت خيطَ الدماء الذي خَلَفْتَه وراءها وأنا أركضُ بها كالمجنون نحو الشارع، لا أكادُ أصدِّقُ أنّها نجت وعاشت. كان الجرحُ النازف في رأسها أقلَّ خطراً ممَّا قدَّرت، بل أقلَّ خطراً من إصابتها كلّها. فقد شخَّصَ الطبيب، إلى جانب الارتجاج في المخِّ، كُسوراً في الحوض، وكسرا في العمود الفقريّ تضرَّر منه النخاع الشوكيّ.

خرجنا أنا وهي مشلولين من الحادثة. هي مشلولة القدمين. وأنا مشلول الرجولة والعزم. تعودت منذ ذلك الوقت، أن استصحبَ رفيقا جديدا سيلازمني عامّة أيّامي. رفيقٌ خبيثٌ أشوهُ قبيح، ضيقٌ في عينيّ الدنيا بما رحبت، وأمّرٌ في فمي طعم الحياة، وحبُّبٌ إليّ الخمول والكسل. رفيقٌ يُسمّونه السأم. أُقبلُ على الأمر فأمجُّه بعد ساعة وينصرف همّي إلى غيره. حتّى إذا هممت بغيره لم أجد في الانتقال عن الأوّل راحة، فأعود إليه. فلا أكادُ أهمّ به من جديد حتّى يخور فيه عزمي ويزول منه همّي. فأنا بين إقبال وإدبار يومي كلّه، لا أنجز شيئا ولا أرغب في شيء. أتململ في عملي، وأتلجج في صلاتي، وأستخونُ بيني وبين نفسي المقربين من أصدقائي. إذا حدّثني أحدهم بكلامٍ كدّبه، وإذا نصح لي رأيته يكيّد ويحتال.

ومضت لي على تلك الحال شهور. لا أكلّم من أهل الدار أحدا ولا يكلمني أحد. يظنّون أنّ عجز زبيدة كسرني، ولا يدركون أنّ كسري من زوال القيمة وفقدان المعنى. ثمّ تذكّرت أمرا شغلني عنه الضيقُ والمرض، وصدّني عن السعي إليه الخوف والشعور بالعار. تذكّرت خبّاز سيدي منصور الذي جاءت من طريقه رسالة الشؤم. كيف تناسيته تلك المدّة كلّها؟ كيف صرفتُ نفسي عن البحث عنه وبين يديه نصف الحقيقة بل ربّما الحقيقة كلّها؟ أهو الخوفُ من اليقين يفجّوني بقسوته اللاذعة؟ أم إنّه الجبن المستحکم في العاشق يجعله يشيح بوجهه عن الحقيقة الساطعة كي لا يرى فيها بشاعة معشوقه؟ قلبت الأمر على وجوهه، فلعلّ في استمرار الشكِّ رحمة لا يقدرها إلّا من أخذته صاعقة البراح. تردّدت قليلا ثمّ قرّرتُ بعد أخذ وردٍّ أن أعزّي الجرح وأتأمل ما ينزّ من صديده. وقفتُ على الخبّاز بعد حوالي أربعة شهور من الحادثة، ربيع سنة 1936. لم يكن عسيرا العثور عليه. فلا أحد في حومة سيدي منصور يجهل كزيطة الذي اضطرّ

إلى بيع خبزهِ على قارعة الطريق، بعد أن قاطع السَّكَّان دُكَّانه بسبب الضَّجَّةِ حول كتاب الحدَّاد. غير أنَّ الرِّمَّان شفاءٌ للحمق كما قال لي الشيخ الذي دلَّني على العنوان، فسرعانَ ما تنوَّسي الأمر كلَّه وعادت المخبزة إلى سالف نشاطها كأنَّ شيئاً لم يكن. دفع الطاهر الفاتورة وحيدا فغادر الدنيا في شرح الشباب، ودفعتُ معه المتخلِّد بدمَّته فبقيتُ في الدنيا فارغا أجوف معطوياً كالعود المنزوعة أوتاره.

فكرتُ بدءاً في أن أرسل إلى الخبَّاز خدَّوج على أنَّها مرسل زبيدة. ستستلمُّ منه الأمانة: الكتاب ومخطوط الديوان كما جاء في متن الرسالة، فتعفيني بذلك من مواجهة مخزية. ثمَّ لم ألبث أن عدلت نفسي على جنبها وتراخيها. فقد تكون لويذة قد زارت الخبَّاز في الأثناء فقصَّت عليه ما وقع وتسلَّمت منه كلَّ شيء، وقد تكون حدَّرتَه من زيارة مبعوث دار النيفر فتواصيا بالإنكار والكتمان. لا أحد غيري قادر على استخراج الحقيقة من صدره باللطافة واللين إن هو طواعٍ وجارى، أو بالعنف والقوَّة إن حَرَن وعصى. هكذا حدَّثت نفسي وأنا أقف أمامه مستعداً أن أخبزه في فرنه إن حدَّثته نفسه بالاحتيال عليّ.

رواية

دنيا ميخائيل

# وشم الطائر



الناشر: دار الرافدين، 2020

العنوان: بيروت، لبنان

الهاتف: 00961-1345683

البريد الإلكتروني: [info@daralrafidain.com](mailto:info@daralrafidain.com)

التقديم الدولي: 978-9922-634-12-8

حقوق الترجمة العالمية: المؤلفة

# وشم الطائر دنيا ميخائيل

ملخص الرواية:

”وشم الطائر“ رواية مؤلمة عن بيع النساء اليزيديات في العراق من قبل داعش من خلال قصة حب وزواج هيلين وإلياس وما حدث لهما مع التنظيم، لكن مع هذه المأساة تسرد الرواية جوانب من الفلكلور اليزيدي المدهش بعباداته وحكاياته.



دنيا ميخائيل شاعرة عراقية من مواليد 1965، تقيم في أميركا. حصلت على بكالوريوس في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد وأكملت دراستها العليا في جامعة وين ستيت حيث حصلت على الماجستير في الآداب الشرقية. تعمل حاليا أستاذة للغة العربية وآدابها في جامعة أوكلاهوما في ولاية ميشيغان. لها تسعة كتب بالعربية تُرجمت بعضها إلى اللغات

الإنجليزية والإيطالية والبولندية والصينية والفرنسية والهندية. وصلت مجموعتها الشعرية ”الحرب تعمل بجد“ (2005) التي ترجمتها إليزابيث وينزلو إلى القائمة القصيرة لجائزة غريفيث Griffin للشعر. فازت مجموعتها الشعرية ”يومييات موجة خارجة عن البحر“ (2009) على جائزة أفضل كتاب لكاتب عربي أمريكي للعام 2010. وترشح كتابها ”سبايا سنجار“ (ترجمته الكاتبة بالتعاون مع ماكس وايس إلى الإنجليزية) للقائمة الطويلة للجائزة الوطنية للأدب المترجم 2018. ترجم كريم جيمس أبو زيد مجموعتها ”الليالي العراقية“ (2013) إلى الإنجليزية.

## فصل من رواية "وشم الطائر"

رقم 27

كان أعضاء التنظيم قد أخذوا من الأسيرات كل حاجياتهن بضمنها خواتم الزواج الذهبية، لكن خاتم زواج هيلين لم يكن خاتماً، كان وشم طائر. سمعت، وهي تحدّق في إصبعها، أحدهم ينادي بصوت عالٍ "27"، رقم 27. لم تعرف هيلين في البداية بأن ذلك رقمها. وحين نادى مرة أخرى، ظنّت بأنه غاضب لأنها خرجت من مكانها في الطابور وركضت نحو أمينة. لم تصدّق عينيها حينما لمحت صديقة طفولتها الأعزّ أمينة هناك في الجهة الأخرى من القاعة. وأمينة كذلك فتحت فمها غير مصدّقة. لكن لم يدم عناقهما الدامع سوى ثوانٍ إذ جاء صوته الهادر معلناً "٢٧ مُباعة" كان يشير إلى هيلين بيد، وباليد الأخرى يحمل صندوقاً من الورق المقوّى معبأً بهواتف الأسيرات. صرخت به أمينة "أتركها" وبالكاد سُمع صوتها ففي تلك اللحظة كانت الهواتف النقالة ترنّ كلّها في الصندوق رنيناً عالياً قادماً من الأهالي القلقين لأن نداءاتهم بلا جواب.

ذلك الرجل، بقميصه الأسود الطويل حتى الركبة وسرواله المرتفع فوق كاحل القدم، دفع أمينة بقوة فسقطت على الأرض. إنحنى هيلين إليها لتساعدها على النهوض فسحب الرجل هيلين من يدها بالقوة وسحلها خلفه نحو غرفة أخرى. دفعها إلى الأرض وخرج وهو يغلق الباب وراءه. نساء أخريات كنّ هناك جالسات على الأرض وروؤوسهن إلى أسفل وعليهن بطاقات ذات أرقام، مثل تلك الكواكب البعيدة التي لا أسماء لها، فقط أرقام. المرأة الواحدة التي بلا رقم كانت تجلس إلى طاولة مكتب، ناولت هيلين ورقة وقالت: هذه وثيقة زواجك. سيأتي زوجك بعد قليل.

أعدت هيلين الورقة من دون أن تنظر إليها وقالت: أنا متزوجة أصلاً.  
أبو تحسين اشترك عبر الإنترنت وهو في الطريق إلى هنا، قالت المرأة.

هيلين لم تسمع في حياتها عن سوق لبيع النساء ولو لم تره بعينها لما صدقت بوجوده في أي زمان ومكان. ومما زاد من استغرابها أن بناية السوق هي مدرسة إسمها "زهور الموصل" كما هو مدون على لافتتها الأمامية وهي تشبه تماماً مدرستها الابتدائية التي كانت قد درست فيها مع أخيها التوأم آزاد. ما كانت حتى المديرية ست إلهام الشديدة جداً ستستوعب فكرة سوق لبيع النساء. بالنسبة لست إلهام، كل من يعلك لا أخلاق له حتى لو فعل ذلك في أثناء الفرصة، لذلك تعرّض آزاد إلى توبيخ منها عندما رأته يعلك في ساحة المدرسة. كان آزاد المغرم بالعلكة ماركة "أم السهم" يتصوّر بأن العلكة لا تختلف عن باقي الحلوى التي كان يتناولها باقي الطلاب في الفرصة من دون مشكلة. وقف آزاد مرعوباً في مكتب ست إلهام فبإمكانها أن تضربه بالمسطرة من الجهة الحادة على يده مثلما رأها تفعل لبعض الطلاب لأنهم تأخروا في الدخول إلى الصف بعد أن رنّ الجرس فكان ينبغي أن يكونوا في مقاعدهم قبل المعلم كي يقفوا له احتراماً عندما يدخل الصف. ولكن آزاد لمح، مندهشاً، ست إلهام وهي تبتسم في نهاية استجوابها له عندما عرفت من أعطاه العلكة. قالت: سلم لي على خالك أستاذ مراد وقل له العلك ممنوع. الآن إذهب إلى الصف.

هذه الغرفة تشبه مكتب المديرية بطاقتها المرتبة التي تجلس إليها الآن المرأة التي بلا رقم وهي مشغولة بإدارة عملية بيع الأسيرات. "البسي هذه الملابس. سيأتي المصوّر بعد قليل"، قالت وهي تُناول كيساً لإحدى الأسيرات. استغربت هيلين من التناقض الكبير في الملابس التي يفرضها عليهن أعضاء التنظيم. ففي البداية عليهن أن يرتدين النقاب الأسود الذي لا تظهر منه سوى العيون، وبعد ذلك عليهن ارتداء ملابس خالصة لتصويرهن وعرضهن للبيع. طلب المصوّر من هيلين أن تمسح دموعها قبل أن يلتقط الصورة.

في صفوف أخرى استخدم أعضاء التنظيم طاولات المدرسين للإشراف على اختيار الصبيان للتدريب العسكري في ساحة المدرسة الأمامية. في تلك الساحة نفسها، كان الأساتذة والطلاب يجتمعون صباحات الخميس لمراسم رفع العلم. الآن ترفع المنظّمة علمها الأسود بدلاً من العلم العراقي وتتلو نشيد الولاء للدولة الإسلامية بدلاً من النشيد الوطني.

خلال الأشهر الثلاثة التي مضت عليها لحد الآن في الأسر، فهمت هيلين تدريجياً قوانين ذلك السوق الغريب. عندما يأخذها أحدهم إلى صف مجاور



ويرجعها إلى مكانها فوراً بعد الاغتصاب معناه أنه أخذها لمتعة مؤقتة، قلبها مثلما يقلب الزبون بضاعة في السوق. ولكن إذا قرّر أحدهم شراءها فلا بد له من دفع مبلغ لإدارة التنظيم وفق عقد شراء مختوم بختم الدولة. مزادها يبدأ من ٧٥ دولاراً فما فوق لأنها في خانة أعمار الثلاثينات. يمكن للمشتري أن يمنحها لأخر ضمن عقد "إيجار" فيتخلّى عنها لرجل آخر مؤقتاً ثم يسترجعها. ويحقّ له أيضاً أن يُرجعها إلى السوق أو يبدّلها بأخرى. أحد الذين اشتروها كان يبيعها مؤقتاً كلما احتاج إلى المال ثم يسترجعها وفي النهاية أرجعها إلى السوق قائلاً "هذه تصرخ في نومها، يمكن بها جنّي".

كنّ 120 امرأة تقريباً محشورات في قاعة تلك المدرسة في الموصل. بإمكان الداخل إلى القاعة أن يعرف أي النساء منهن اغتصبت أكثر من غيرها من خلال عدد الرضوض على جسدها. بعضهن يحاولن الاختباء خلف بعضهن الآخر ولكن الحراس لا تفوتهن أية واحدة. في الليالي بعد أن تُغلق مزادات البيع، يأتي الحراس ويأخذون من شاؤوا للمتعة المؤقتة. يدفعون المقاعد الدراسية جانباً ويغتصبون واحدة مقابل الأخرى. تعرّفت هيلين على أسيرات أخريات من خلال النظرات التي يتبادلنها أثناء اغتصابهن. يتحدثن بعيونهن ويتفاهمن من خلال الدموع. مرّة في أثناء اغتصاب جماعي في وضح النهار صرخت أسيرة بهم "كفى، تقبلون واحداً يفعل هكذا بأمهاتكم وأخواتكم؟"

ضربها أحدهم على الفور بالحائط حتى انهارت. تبعته امرأة أخرى وهي تصرخ بكلمات غير مفهومة. بصقت عليه. قلّدتها هيلين وبصقت على رجل بقربها. تلتها أسيرة أخرى بنفس الشيء. بصقت كل أسيرة في تلك الغرفة على كل من استطاعت فيما يشبه حملة بصاق على المغتصبين. بهت الرجال لردّة الفعل الجماعية عليهم. ضربوهن بكل قوتهم. ولكن في النهاية ساد هدوء في الغرفة وقد بدا على الرجال الإنهاك من ضربهم للأسيرات أو ربما من فقدانهم لماء الوجه، فغادروا الغرفة واحداً بعد الآخر بينما الأسيرات تبادلن نظرات تشجيع كأنهن يرتبن على أكتافهن المبقّعة بالرضوض والألم. بعضهن لم يستطعن الحراك أياماً بعد ذلك.

الصمت هو اللغة الثالثة بين الأسيرات إضافة إلى العربية والكردية. أصغر الأسيرات ليلى في العاشرة من عمرها لا تعرف من العربية سوى كلمة "تفتيش" التي تعلّمتها لأن كل مرة تسمعها من تلك المرأة التي تدخل الغرفة وتعلن "تفتيش" فتصطفّ النساء واحدة جنب الأخرى فتبحث المرأة بداخل

ملايسهن للتأكد من عدم حيازتهن لأية آلة حادة. إزدادت دورات التفتيش يوماً بعد يوم لأن حالات الانتحار بين الأسيرات وصلت حدّاً استفز أعضاء التنظيم لأنهم فشلوا في العثور على ما تستخدمه النساء في قطع شرايين أيديهن وإنهاء حياتهن.

ريحانة حاولت شقن نفسها بحبل عثرت عليه في زاوية القاعة. تلك كانت قاعة الرياضة عندما كانت المدرسة مدرسة، وذلك الحبل كان يُستعمل للعبة القفز بالحبل. ركضت إليها إحدى عضوات التنظيم وتمكّنت من أخذه منها بالوقت المناسب. أنقذت حياتها ثم ضربتها بذلك الحبل نفسه. تلك كانت المفتشة نفسها التي كانت خلال الإِسبوع الأول من الأسر قد مرّت بالأسيرات واحدة واحدة لتسألهن "هل أنت متزوجة؟" و"متى جاءت الدورة الشهرية آخر مرة؟" إحدى الأسيرات أجابتها "لماذا هذا السؤال؟" فصرخت أخرى "لماذا؟" ثم الثالثة بصوت أقوى "لماذا؟" فتراجعت المفتشة خطوة إلى الخلف وصرخت بهن: لأنّ قانون الدولة يمنع بيع الحوامل.

من المفترض أن تُهدى ريحانة مجاناً للمقاتلين لغرض الخدمة فقط وذلك حسب قائمة الأسعار التي أقرّها التنظيم لمن تجاوزت الخمسين من عمرها لكن نظرتها المنكسرة التي تعود بها إليهن بعد أن يأخذها أحدهم توحى بأنّ بعض المقاتلين كان يخرق قوانين منظمتهم. "ماما ريحانة"، هكذا صارت ليلى تسمّيها منذ تلك الليلة المظلمة في الإِسبوع الثاني من الأسر حينما عادت ليلى إلى الغرفة عارية وهي تتأوه من الألم والذل. رموا ملايسها خلفها، إلّتقطتها إحدى الأسيرات وألبستها لها وهي تقول "ربي يأخذ بنأر هذه البنت وثأرنا جميعاً" قالتها بالكردي فلم تفهم المراقبة عبارتها. ولأنّ ريحانة كانت عاملة في المطبخ، أسرعت إلى ليلى بطاسة من الماء وسهرت عليها حتى الصباح. فتحت ليلى عينيها لترى ريحانة وهي تمسح لها جبينها بفوطة مبلّلة في محاولة لخفض الحمى التي أصابتها. تبادلتا نظرة بها شيء من الامتنان والأسى. ريحانة تتحدّث باللغة العربية ولا تفهم اللغة الكردية ولذلك تستعين بهيلين لترجم بينها وبين ليلى. ليس دائماً وإنما في الأوقات التي يصدف أن تمرّ دونما اغتصاب لأي واحدة منهن الثلاثة. لا تأتيهن رغبة للكلام بعد الاغتصاب. يدخلن في صمت لا يقطعه سوى تحية مغتصب لصاحبه المغتصب الآخر، تأتي نشاراً مثل ضحكة في عزاء.

عرفتُ ربحانة من خلال ترجمة هيلين بأنَّ ليلي لم ترَ أهلها منذ ذلك اليوم عندما ضفرت لها أمُّها شعرها وخرجوا مع باقي أهالي القرية باتجاه الجبل. لم تتحدَّث بالمزيد فكُلَّهنَّ يعرفنَّ المتبقي وكيف فصلوا الرجال عن النساء، والكبار عن الصغار، والبنات من سن التاسعة فما فوق عن باقي أفراد عوائلهن.

وفي يومٍ إنقطعت ليلي عن الكلام تماماً حتى مع هيلين لأنهم وجدوا ربحانة ميتة. لم تكن بحوزتها آلة حادة ولا حبل. لم يعرفوا كيف ماتت. "قتلها الحزن"، قالت إحدى الأسيرات. إنهالت دموع ليلي بالجريان على خديها. أجلستها هيلين في حضنها وهي تبكي كذلك. أبقتهما في حضنها أطول ما استطاعت بالرغم من الألم الذي بظهرها من ضرب أبو تحسين الذي كان قد اشتراها وأرجعها. بدأت تضفر شعر ليلي من جديد وهي تستدعي كيف أخذها أبو تحسين إلى بيته في حلب وكيف تقيأت عليه وهو يمارس الجنس معها. كانت طوال الطريق تشعر بالغثيان حتى تقيأت بمجرد وصولها إلى بيته. ضربها بالعصا على ظهرها حتى انهارت فلم تشعر بنفسها إلا وهي في المستشفى ويدها مشدودة إلى المغدّي.ناولتها الممرضة حبة دواء مع قرح من الماء وهي تسألها "كيف الحال؟" فأجهشت هيلين بالبكاء وأجابت: لسْتُ من هنا. دخيك ساعدني حتى أرجع إلى أهلي في العراق.

نظرت الممرضة إلى اليمين وإلى اليسار وهمست: كيف أساعدك؟

فقط اخرجيني من هنا إلى الشارع.

أسفة لا أستطيع أن أفعل هذا. هل تريدن التحدّث مع أهلك بالتلفون حتى يساعدوك؟

نعم، الله يخليك.

سأجلب تلفوني النقال في أثناء استراحتي.

نظرت الممرضة في ساعتها وأضافت: بعد ساعة ونصف.

سمعت هيلين صوت انفجار بعيد وهي تحسب الدقائق التسعين وتحاول أن تتذكّر أي رقم من أرقام معارفها لتعطيه للممرضة. إلياس لا بد أخذوا منه تلفونه فهو لم يرد على نداءاتها منذ أسروه، وأمينة أسيرة كذلك، تلفونها في ذلك الصندوق الذي جمعوا به تلفونات الأسيرات. لا تعرف أي رقم آخر.

سحبت الممرضة التلفون من جيبها ببطء وهي تنظر إلى أسرة المرضى المجاورة وكأنها تسحب مسدساً. قالت لهيلين: سأترك هذا معك خمس دقائق

وأعود حالاً.

ولكن انتظري أرجوكِ، لا أعرف أي رقم. هل تعرفين مفتاح رقم العراق من هنا؟

آه، لا. إذن فيما بعد. سأسأل، قالت الممرضة وأعدت التلفون إلى جيبها، وفي تلك اللحظة دخلت طبيبة إلى الردهة متوجهة نحو سرير هيلين. التقطت ورقة مثبتة على لوح صغير عند سرير هيلين. قرأتها وقالت: بإمكانك الخروج الآن.

ممكّن أظّل يوماً آخر؟ سألتها هيلين.

ليست بك حاجة لذلك، أجابت الطبيبة، ثم أن هناك جرحى في الطريق إلى هنا وقد لا تكفي أسرة المستشفى.

نزّلت هيلين من سريرها على مضض. رافقتها الممرضة إلى ردهة الاستقبال وهناك وجدت أبو تحسين بانتظارها. جمّدت هيلين في محلّها عندما رأته بينما تقدّم باتجاهها. قالت الممرضة: إنتظري، سأكتب لك رقم تلفوني في حال عندك سؤال.

سمعها أبو تحسين. قال: لا، لن يكون عندها أي سؤال. هي ستخرج من هنا وتعود إلى بلدها.

صحيح؟ سألته الممرضة.

أدار أبو تحسين ظهره للممرضة وأشار لهيلين بيده لتخرج معه. قبل أن تعبر هيلين العتبة إلى الشارع نظرت وراءها وكانت الممرضة ماتزال واقفة هناك تنظر باتجاهها.

أوقف أبو تحسين سيارة أجرة وانتظر أن تصعد هيلين إلى المقعد الخلفي ليصعد هو إلى جانب السائق. ربما خشي أن تتقيأ عليه مرة أخرى. تساءلت هيلين مع نفسها: هل حقاً سيعيدها إلى وطنها كما قال للممرضة؟ بعد ربع ساعة تقريباً سمعت السائق يذكر بأن هناك بعض التصليحات في الطريق إلى الموصل فأشرق أمل بداخلها مثل مصباح في غرفة معتمة. هم في الطريق إلى الموصل إذن وليس إلى بيته في حلب.

إستغرقت الرحلة إلى الموصل عشر ساعات تقريباً، وقد لاحظت هيلين اللافطة التي تبين بأن الطريق السريع صار اسمه "طريق الخلافة." أخيراً توقّف السائق أمام بناية المدرسة-المزاد نفسه الذي اشتراها منه أبو تحسين. أعادها إلى السجن نفسه إذن ومع ذلك تنفست الصعداء لأنها ستلتحق بباقي الأسيرات،

ولو مؤقتاً لحين بيعها مرة أخرى. أو من يدري، ربما تحدث معجزة من السماء فتتمكن من العودة إلى بيتها. تحتاج إلى معجزة لتشم رائحة أهلها مرة أخرى. هذه مريضة ولا تصلح لي، قال أبو تحسين للحارس في ساحة المدرسة الأمامية.

عرض عليه الحارس أن يبدلها بأخرى ولكن أبو تحسين اختار أن يسترجع نقوده.

في اليوم نفسه الذي ماتت فيه ريحانة، عرضوا هيلين للبيع مرة أخرى. ضجت ساحة المدرسة بزبائن لهم لحي طويلة جداً كأنهم خرجوا توأ من كهوف بالية في القدم. نظرت هيلين في وجوه الأسيرات الأخريات عساها تعثر على أمينة مرة أخرى. هل اشترى أحدهم صديقتها العزيزة؟ تساءلت هيلين وهي تلمح شخصاً ضخماً يتقدم نحوها فأحنت رأسها كي تتجنبه.

عبد المجيد سباطة



الناشر: المركز الثقافي العربي، 2020

العنوان: الدار البيضاء، المغرب،

البريد الإلكتروني: [markaz.casablanca@gmail.com](mailto:markaz.casablanca@gmail.com)

التقديم الدولي: 3-962-68-9953-978

حقوق الترجمة العالمية: الناشر

## الملف 42

### عبد المجيد سباطة

#### ملخص الرواية:

الملف 42 رواية بحبكة مربكة، تسير في خطين متوازيين، الخط الأول بلسان كريستين ماكميلان، روائية أمريكية ناجحة، تتعاون مع رشيد بناصر، الباحث المغربي الشاب في سلك الدكتوراه، في تحقيق أدبي الطابع، للبحث عن المؤلف المجهول لرواية مغربية مغمورة صدرت عام 1989، وتضم بين أحداثها المتخيلة شخصية والد الروائية، الجندي ستيف ماكميلان، الذي عمل في إحدى القواعد العسكرية الأمريكية المتمركزة بالمغرب خلال وبعد الحرب العالمية الثانية. تحقيق سيقودهما إلى ملامسة خيوط كارثة الزيوت المسمومة لسنة 1959، وهي واحدة من أفزع الكوارث المنسية، سنوات قليلة بعد الاستقلال. والخط الثاني من الرواية، بلسان زهير بلقاسم، مراهق مغربي عابث من عائلة غنية، يغتصب الغالية، خادمة المنزل القاصر، فتستغل والدته المحامية نفوذها لإغلاق القضية وإرساله لمتابعة دراسته الجامعية في روسيا. تناقش "ملف 42" القراءة وتقنيات الكتابة الحديثة، ولكن تبقى قضيتها الكبرى والأبرز سؤال القيمة عند المغاربة، وبحثهم الطبيعي عن الكرامة، كأبسط حق من حقوقهم الإنسانية.



عبد المجيد سباطة كاتب مغربي من مواليد الرباط 1989. حصل على ماجستير في الهندسة المدنية من جامعة عبد المالك السعدي بمدينة طنجة. نشرت له مقالات وترجمات تناقش عددا من المواضيع الأدبية والثقافية والتاريخية بمواقع وصحف ومجلات مغربية وعربية. صدر له "خلف جدار العشق" (2015)، "ساعة الصفر 00:00" (2017)

التي فازت بجائزة المغرب للكتاب سنة 2018، و«الملف 42» (2020). كما نشر ترجمتين لروائيتين للكاتب الفرنسي ميشيل بوسي.

## مقطعان من رواية "الملف 42"

كانوا سبعة، يتبادلون الدعايات وقرقعة زجاجات وعبوات البيرة الممتلئة، وثامنهم فتاة لم تبلغ عامها العشرين بعد، عرفت مصطفى ما إن وقعت عينها على وجهه، فأطلقت ساقها للريح كما لو أن القادم وحش ينوي التهامها.

تجاهلها المفتش، واقترب من الطاولة، ثم وضع يده على كتف أحدهم، سائلاً بهدوء :

– أنت ستيف ماكميلان؟

أشقر بعينين زرقاوين وعضلات مفتولة، تجاوز الثلاثين، وتكاد قبضته تحطم الزجاجاة، تطلع إلى يد مفتش الشرطة بعينين نصف مغمضتين، وأجاب بعربية غريبة :

– من أنت؟ ماذا تريد؟

اطمأن مصطفى لقدرته على الحديث بعربية دارجة رغم ركاكتها، كما يفعل معظم الأمريكيين العاملين بالقاعدة الجوية، والمعتادين على ارتياد هذه الأماكن للسهر واللهو، فقال :

– أنا مفتش في الأمن الوطني، سأطرح عليك بعض الأسئلة حول علاقتك بصالح بلقاضي الذي توفي في حادثة سير قبل أيام.

قال ستيف شيئاً ما بالإنجليزية التي لا يتقن منها المغربي حرفاً، فتعالت ضحكات أصدقائه، ما أشعر مصطفى بالغيظ، ليقينه من أنهم يسخرون منه، لكنه تمالك أعصابه بأعجوبة مع سماعه لرد الأمريكي :

– وما دمت مفتشاً في الأمن الوطني، ألم يخبرك أحد من رؤسائك بأنني جندي في جيش الولايات المتحدة، ولا أحد يمكنه التحقيق معي بشكل رسمي سوى الشرطة العسكرية الأمريكية؟

كان محقاً في كلامه، وهو ما يعرفه المغربي جيداً، لكن تشنج صوته فضح



عصبية كما أراها له الأخير بالضبط.

- ومن قال بأنه تحقيق رسمي يا ستيف؟ هي أسئلة عادية أتمنى أن أجد أجوبتها عندك !

غمز الجندي أصدقاءه، كإشارة إلى ثقته بنفسه، ونهض، فبدأ أطول من المفتش بعشرين سنتيمترا على الأقل، ثم رافقه إلى طاولة معزولة وشبه مظلمة، جعلت من مهمة متابعة حركة عينيه أكثر صعوبة.

- صالح صديقي، كنا نلتقي هنا دائما، نلهو قليلا ونتجاذب أطراف الحديث حول إشاعات بقاء الجيش الأمريكي أو رحيله عن المغرب. حزنت كثيرا لمأساة أسرته، لغز مقتل زوجته ثم وفاته هو في حادثة سير، هذا مرعب جدا !

- هل اقتصرتم علاقتك به على السهر هنا، أم كنتم تلتقيان في أماكن أخرى؟

أجابه ستيف بسؤال حذر :

- ماذا تقصد ؟

- يؤكد بعض الشهود تعدد المقابلات بينكما في منزله، هل هو استكمال لسهراتكم الخمرية الصاخبة؟ أم أن للأمر علاقة بعمله كتاجر؟

- نعم، زرته أكثر من مرة في منزله كصديق فقط، فلا علاقة لي بعمله ولم يحدث أن سألته يوما عنه.

قالها بثبات يوحي باستعداده السابق لكل الأسئلة الممكنة، فراوغه مصطفى بسؤال آخر :

- ماذا عن زوجته جميلة؟ هل تعرفها بشكل شخصي؟

صمت الأمريكي لوهلة، ولامس أنفه بحركة لا إرادية، ثم قال :

- ربما رأيته بشكل سريع مرة أو مرتين، أنت أعلم مني بتقاليديكم المحافظة، لم يكن من اللائق بالنسبة لهما جلوسها معنا.

لم يجد المفتش بدا من اللجوء إلى ورقته الأهم :

- أين كنت ليلة الأربعاء 22 يوليو (تموز)؟

رد بنبرة تخلو من أي انفعال :

- في القاعدة الجوية بطبيعة الحال، ومعى ستة شهود من أصدقائي الأمريكيين، هم المتحلقون حول تلك الطاولة، ممن يستطيعون إثبات ذلك بسهولة تامة.

وضع المفتش يده في جيبيه، واستخرج مفكرة صالح، ثم بحث عن الصفحة

وأشهرها في وجه ستيف :

- وأنا معي إشارة مكتوبة بخط يد الراحل، عن موعد جمعكما يوم الأربعاء 22 يوليو على الساعة العاشرة مساءً، رغم ادعائه بأنه سافر في ذلك اليوم إلى الدار البيضاء لإتمام معاملة تجارية خاصة به.

دفع الجندي الطاولة بحركة عنيفة، حتى التصقت ببطن المحمودي، وقال ببرود مستفز:

- انتهى اللقاء.

تحرك عائداً صوب طاولة أصدقائه، فلاحقه مصطفى بإصرار، وهتف متناسياً آلام الضربة المفاجئة:

- لم تفرغ جعبتي من الأسئلة بعد، ما معنى الأرقام التي كتبها صالح تحت إشارة الموعد؟

استدار ستيف نحوه، رافعا قبضته:

- أصدقائي بانتظاري، وأنا لا أملك وقتاً لأضيعه معك، من حسن حظك أنني في مزاج رائق، فالجواب المناسب لأسئلتك التافهة هو لكمة تحطم أنفك. ضم المغربي قبضته بدوره، شاعرا بالغيب لفارق القوة والطول بينهما، وقال بصوت متهدج:

- تهربك من الرد ليس في مصلحتك، تأكد بأنني لست ضعيفا إلى هذه الدرجة، وسألاحقك حتى يتم استجوابك بشكل رسمي حول علاقتك بالقضية.

عاد الأمريكي إلى الاستفزاز المبطن رغم الهدوء الظاهري:

- اسمعني جيدا أيها المغربي، بلدكم تائه وعاجز عن الوقوف على قدميه بعد استقلاله، أنتم بحاجة ماسة إلينا، من ساهم بمعداته المتطورة في التحذير من خطر فيضانات منطقة الغرب؟ ومن تدخل بعد ذلك لإنقاذ ضحاياها؟ من يغمض عينيه عن تهريب الأطعمة والملابس والثلاجات وغيرها من القاعدة الجوية؟ لماذا يمنعك رؤساؤك من احتجاز بائعات الهوى ويجبرونك في كل مرة على إطلاق سراحهن؟ من تخلص من صداع النهوض باقتصاد مدينة وربما منطقة بأكملها فقط لأننا موجودون ونملاً مقاهيها وحاناتها ونحرك عجلة اقتصادها بأموالنا وسلعنا؟ من يقدم لكم مساعدات مباشرة بأطنان من القمح وبودرة الحليب؟ من يدرب طياركم على قيادة أحدث المقاتلات الحربية؟ تأكد يا عزيزي بأن دولتك لن تخاطر بكل ما سبق لأجلك أنت، وستحاسبك فقط لأنك تجرأت على إزعاجي.

تجرع مصطفى إهانات الجندي، لكن الشعور الذي راوده فور قراءته للإسم في مفكرة صالح بلقاضي تحول الآن إلى يقين لا تخالطه ذرة شك.  
ستيف ماكميلان هو مفتاح لغز مقتل جميلة وزوجها.  
متى وكيف ولماذا؟  
لا يمكنه الإجابة عن أي من هذه الأسئلة الآن، لكنه سيفعل بكل تأكيد.  
ومهما كلف الأمر.

رواية أحجية مغربية – خالد رفيقي

\*\*\*

## الحكاية والتأويل

لا شيء حقيقي سوى الصدفة  
بول أوستر

الثلاثاء 22 أكتوبر 2002  
المدينة القديمة – الرباط :

تحولت الطاولة، وقد تكدست فوقها عشرات الأوراق والصور والمذكرات، إلى ما يشبه غرفة عمليات معركة حربية، فيما انهمك رشيد في مراجعتها بصمت. مددت بصري المتعب – بعد ليلة طويلة مجهدة لم أذق فيها طعم النوم إلا مع حلول الفجر- نحو الأفق، حيث الفسيفساء الغريبة بين المنازل العتيقة والأسوار القديمة والبنائيات الحديثة وضوء حركة السير بين ضفتي النهر.  
ما هذا الجنون؟

ستيف ماكميلان، الهادئ الكتوم حد الملل، شخصية ورقية تتحرك في فضاء  
رواية مغربية !

تتحرك، تتكلم، تضحك، تلهو...

وترتكب جريمة قتل دون أن يحاسبها أحد !

- الواقع أن اسمك ظل يرن في ذهني طويلا بعد عودتي إلى المنزل، ليس فقط لأنك كاتبة رأيت صورتها في مجلة ثقافية، بل أيضا لأنه اسم لم يكن غريبا على ذاكرة ربطت مباشرة بينه وبين شخصية الجندي الأمريكي في رواية أجنبية مغربية.

- صدفة غير قابلة للتصديق، لن تجدها سوى في الروايات، أليس كذلك؟  
- عندما يقودك القدر إلى حيث يريد هو، تدرك بأن بعض الممتعضين من وجود الصدفة في الحكايات الروائية لم يخبروا الحياة جيدا، ما دامت قادرة على إدهاشنا باستمرار، وبمفاجآت أكثر غرابة، المهم أنني تركت الدهشة جانبا وفكرت في ما ستحملة المعلومة من جديد، لروايتك وأطروحتي.  
قالها ولم يرفع عينيه عن الصور، فتساءلت :  
- كيف؟

وضع قبضته على ذقنه مفكرا، وكاد حاجباه يمتزجان ببعضهما، تحت جبين تحولت تجاعيده إلى ما يشبه خطوط جهاز تنظيم دقات القلب، فبدأ أكبر من عمره بعشر سنوات.

رشيد شاب مكافح، لم أقابله إلا بالأمس، ولا أعرف عنه الكثير، لكنني موقنة بأن الحياة لم تكن رحيمة به، وأنه يقاوم للبقاء واقفا على قدميه...  
- لقد تعاملت مع النص كرواية خيالية ألفها كاتب اسمه خالد رفيقي، جمع فيها بين التحقيق البوليسي والتصوير الدقيق للمجتمع المغربي في فترة ما بعد الاستقلال، لكن وجود شخصية جندي يحمل اسما مطابقا لاسم والدك، يضعنا أمام احتمالين اثنين.

أدرت قصده لكنني لم أمنعه من المتابعة :

- أحداث وشخصيات الرواية خيالية ولا تمت للواقع بصلة، أي تشابه بينها وبين الواقع هو من قبيل الصدفة، عبارة تنصدر معظم الأعمال الروائية، ويحتمى بها الكتاب أمام الأعيب القدر، حدث أن هاجم أشخاص عاديون مؤلفين لأنهم ضمنوا أعمالهم وصفا مهينا لشخصيات تصادف أنها تحمل الإسم نفسه !

قاطعته بعصبية :

- مفهوم طبعاً، في روايتي الأولى أسيرة القسم 12 استندت لحادثة حقيقية كنت واحدة من ضحاياها، وهي مذبحه ثانوية كولومباين، لكنني تلاعبت بسير الأحداث وغيّرت أسماء بعض الشخصيات واحتفظت بأسماء أخرى

حقيقية، في أحجية مغربية لم يصدر المؤلف عمله بهذه العبارة، ولا يوجد أي وصف دقيق لملاح شخصية ستيف ماكميلان في الرواية.

بدا مترددا وربما خائفا عندما قال :

- أو أن الرواية التي تجاهلها الجميع تعتمد على أحداث واقعية، وتحمل سطورها اتهامات صريحا لجندي أمريكي بالتورط في قتل شابة مغربية بمدينة القنيطرة، وتمكنه من الإفلات من العقاب في نهاية المطاف، بعد قرار استبعاد المفتش من القضية.

تحول تردده إلى ما يشبه الترقب مع سؤاله :

- ألا تذكر هذه التفاصيل بشيء؟

اكتفيت بهزة لا مبالية من كتفي، وقد منعتني الانفعال والتعب من الرد، فأجاب :

- رواية من قتل بالومينو موليرو للبيروفي ماريو فارغاس يوسا، هي ليست عملا بوليسيا تقليديا، لكنها تتضمن تحقيقا حول مقتل مجند شاب بطريقة بشعة، يتولى سيلفا وليتوما أمر القضية، ليقودهما البحث إلى متاهة من الميز العرقي ونظريات المؤامرة وما سماه المؤلف بالتهام الأسماك الكبيرة للأسماك الصغيرة، وتنتهي الأحداث بنقلهما إلى منطقة أخرى بعيدة، رغم اقترابهما من حل لغز بقيت بعض أسئلته بلا إجابات.

قلت بصبر نافذ :

- حسنا، ما لديك على الاحتمال الثاني؟ أنا لا أعرف شيئا عن ماضي والدي بالمغرب، وجئت إلى هنا بحثا عن معلومات، ما الذي يثبت مثلا عمله بالقاعدة الجوية لمدينة القنيطرة؟

التقط رشيد صورة والدي مع الطفل المرتعش، ثم أشار بأصبعه إلى معلوماتها الخلفية :

- ورد هنا أن الصورة التقطت سنة 1958، ومساهمة القوات الأمريكية في عمليات إنقاذ ضحايا فيضانات منطقة الغرب، لمعلوماتك فمدينة القنيطرة تنتمي جغرافيا وإداريا للمنطقة المعروفة بتعرضها لعدد كبير من الفيضانات والانهيارات الأرضية.

- هذا ليس كافيا.

وضعها جانبا، ثم قرب إليه صورة والدي مع أصدقائه القدامى، وقلبها مشيرا إلى ما كتب خلفها :

- طيب، ما تعليقك على وجود دليل قوي يثبت بأن الصورة قد التقطت بمدينة القنيطرة؟

نجح أسلوبه في إثارة انتباهي، فجلست على مقعد مقابل، وأسندت خدي بيدي متسائلة :

- أي دليل؟

- حانة الأركاد مذكورة في رواية "محاولة عيش" لكاتبنا المغربي محمد زفزاف، وتضمنت مشهدا لعراك بين مجموعة من الجنود الأمريكيين السكارى داخلها، استعان زفزاف بمعطيات من صلب الواقع المغربي في عمله، مما رآه هو بألم عينه في طفولته وبداية شبابه. الحانة موجودة، أو كانت موجودة في فترة الخمسينات بالقنيطرة، المسرح الرئيسي لأحداث الرواية، مدينة قضى بها زفزاف عدة سنوات، سبقت انتقاله إلى الدار البيضاء.

أمسكت بصورة الحانة، وتأملتها طويلا، حتى خيل إلي أنني قادرة على النفاذ إلى داخلها، كما يحصل في مسلسلات الخيال العلمي، ثم قلت :

- لا أعتقد بأن براندون سيصل إلى شيء بعد تأكده من وفاة معظم الحاضرين في الصورة، ولا أحسب النتيجة ستختلف مع توني فاجنر. ما رأيك إذن بالتواصل مع مؤلف "محاولة عيش"؟ ستساهم معاينته لفترة الخمسينات وفرضية عمل أبي بقاعدة القنيطرة في حصولنا على معلومات إضافية حول الموضوع، لربما سمع بوقوع جريمة حقيقية وقتئذ، راحت ضحيتها شابة عثر على جثتها بالقرب من نهر سبو.

- كيف ستتواصلين معه وهو تحت التراب؟ توفي محمد زفزاف رحمه الله شهر يوليوز من العام الماضي، متأثرا بإصابته بمرض السرطان !

انتقل إلى صورة الشابة المغربية المجهولة، فأجبرني الخوف على طرح السؤال المفخخ :

- هل تفكر في.

منعني صوتي المضطرب من المواصلة، فأكمل هو :

- في أن تكون صاحبة الصورة التي احتفظ بها والدك لسنوات هي جميلة البارودي؟ لا أدري، اسم الفيلا وإن كتب باللغة العربية وعجزت أنت عن قراءته مع وكيلك الأدبي إلا أنه غير واضح فعلا، الصورة قديمة جدا وطبيعي أن تكون جودتها رديئة بما لا يسمح بتحليل كل تفاصيلها بدقة، وحتى إن تيسر لنا ذلك فلا أظنه سيفيدنا بشيء.

- هذا يقودنا إلى الخيار الأكثر وضوحا، لن يفك لغز أحجية مغربية سوى مؤلفها خالد رفيقي، ولن يجيبنا عن سؤال الواقع والخيال في أحداثها سواه. نهض رشيد، واضعا يده في جيبه، واقترب من حافة سطح الفندق الذي حوله أصحابه إلى مطعم بإطلالة رائعة على المدينة، ليلقي على مسامعي قنبلة جديدة :

- يبدو أنك لم تقرئي مقدمة المترجم الفرنسي، وإشارة الناشر في الغلاف الخلفي للنسخة العربية بطبيعة الحال. لغز رواية أحجية مغربية الأكبر هو كاتبها نفسه. توصل صاحب دار النشر بالمخطوط عبر البريد، وبعد مرور سنوات طويلة على صدور الرواية، لم يعرف أحد حتى الآن من هو خالد رفيقي!



الناشر: دار الآداب، 2020

العنوان: ساقية الجنزير، بناية بيهم، بيروت، لبنان

البريد الإلكتروني: info@daraladab.com أو rana@daraladab.com

الترقيم الدولي: 978-9953-89-671-7

حقوق الترجمة العالمية: المؤلف



# الاشتياق الى الجارة الحبيب السالمي

ملخص الرواية:

لا شيء يجمع بينهما في الظاهر سوى أنهما تونسيان ويقيمان في العمارة ذاتها. هو في الستين من عمره، متعلم ومتزوج من أجنبية. وهي تصغره بعدة أعوام، ومن وسط اجتماعي متواضع، ومتزوجة من رجل غريب الأطوار. في البداية، عاملها بمزيج من الحذر والتعالي. ولكن فيما بعد، تغيرت قواعد اللعبة. رواية عن علاقة استثنائية ثرية متقلبة تحتفي بالحياة في أبسط تجلياتها وأجملها، ولكنها تعكس في الآن ذاته تراجيديتها وجوانبها المعتمة.



الحبيب السالمي من مواليد قرية العلا في تونس عام 1951. حصل على التبريز في اللغة العربية، وهاجر إلى باريس عام 1985، وهو يدرّس اللغة العربية في إحدى أرقى ثانويات باريس. من بين رواياته: "جبل العنز" (1988)، "صورة بدوي ميت" (1990)، "متهات الرمل" (1994)، "حفر دافئة" (1999)، "عشاق بيه" (2002)، و«أسرار

عبد الله" (2004). وصلت روايته "روائح ماري كلير" (2009) إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2009 وصدرت بالإنجليزية عن دار آرابية عام 2010، كما ترشحت "نساء البساتين" (2010) للقائمة القصيرة للجائزة عام 2012 وترجمت إلى الألمانية والفرنسية.

# فصل من رواية "الاشتياق الى الجارة"

## 1

الآن صرت أراها عدّة مرّات في اليوم. إسمها زهرة. لكن أغلب سكان العمارة التي نقيم فيها معا يسمّونها "مدام منصور". وآخرون يسمّونها "الخادمة" أو "التونسيّة" تماما مثلما يسمّون مدام رودريكييس وهي السيّدّة التي تأتي كل مساء لإخراج حاويات القمامة من العمارة ووضعها على الرصيف "البرتغالية" والسيّد غونزاليس الذي يقيم وحده في شقّة في الطابق الخامس من العمارة "الإسباني".

فرحت زهرة حين اكتشفت أن تونسيّا آخر عداها وعدا زوجها منصور وابنها الوحيد كريم هو من بين سكان العمارة. كانت تتصوّر أنهم كلهم فرنسيّون. استغربت ذلك فكلّ ما في وجهي من ملامح يدلّ على أنني لست فرنسيّا. صحيح أن الفرنسيّين ليسوا كلهم شقرا بيض البشرة زرق العيون بل هناك فرنسيّون يشبهون العرب إلى حدّ ما. لكن هناك فرق واضح بيني وبين هؤلاء.

ومنذ أن عرفت أنني تونسيّ لم تعد تتحدّث معي بالفرنسيّة التي تعلّمتها من احتكاكها بالفرنسيّين وتكلّمها بسهولة وتنطقها بوضوح خلافا للكثير من المهاجرين العرب الذين هم في سنّها وخاصّة النساء منهم. صارت تتحدّث معي بالدارجة التونسية إلا حين تكون برفقة سكان العمارة فهي ترى أنه ليس من اللائق التحدّث أمام جيراننا بلغة لا يفهمونها.

والسبب الذي جعلني أراها عدّة مرّات في اليوم ليس إقامتنا في العمارة ذاتها فهناك سكان لا أراهم إلا مرّة واحدة في الشهر وإنما لأنها صارت تعمل خادمة لدى عجوز في التسعين من عمرها إسمها مدام ألبير وتقع شقتها في الطابق الأوّل حيث شقعتي بل مقابلها تماما. والمساحة الفاصلة بين بابينا لا تتعدّى المتر الواحد فالمرّات في الطوابق ضيّقة كما في أغلب عمارات باريس. ويحدث في بعض الأحيان حين نخرج أنا ومدام ألبير من شقّتنا أو ندلف إليهما في

نفس الوقت أن تتلامس الأكياس والسلال التي نحملها أو حتى أطراف ثيابنا. تقيم مدام ألبير بمفردها في الشقة. لا إخوة لها ولا أخوات فهي وحيدة والديها. ولا أحد يزورها إلا صديقة لها في سنّها. روت لي زهرة فيما بعد أن لها علاقة قرابة غامضة بسيّدة تقيم في بروكسل وتخابرها مرّتين في السنة. مرّة لتهنّئتها بعيد ميلادها ومرّة لتهنّئتها برأس السنة. ويشاع أن مدام ألبير كانت تحبّ الرجال وأنها عشقت الكثير منهم لكنها لم تنزوّج قط. وهي لا تنزعج من أن يناديها الناس بـ "مدموازيل" ألبير بدلا من "مدام" ألبير. لكن لا أحد من سكان العمارة يجروء على ذلك احتراما لها. ثم إن إطلاق صفة الأنسة على عجوز في التسعين يبدو أمرا غريبا.

كانت في حاجة إلى إمراة تخدمها. تنظف البيت. تطبخ لها الطعام. تحمّمها. تقلّم أظافرها. تساعدّها على ارتداء ثيابها وترافقها في جولاتها في الحيّ التي تحرص على القيام بها مرّتين في اليوم. ولم تجد من هو أفضل من زهرة فهي مهذّبة لطيفة. والأهم من كل هذا تقيم في نفس العمارة مما يجعلها على استعداد دائم لخدمتها في كل الأوقات حتى في الليل.

أما زهرة فهي مضطّرة إلى العمل في البيوت فمنصور الذي يكبرها بعدة أعوام متقاعد. وكريم يعاني من إعاقة جسديّة وهو عاطل عن العمل. وتدفع مدام ألبير لزهرة مقابل هذه الخدمات أجرا مرتفعا كما تمنحها في المناسبات الدينيّة كعيد رأس السنة وعيدي الفطر والأضحى مبالغ إضافية فمداًم ألبير كريمة. وهي غنيّة على ما يبدو. يقال إن لها عدا الشقة التي تقيم فيها شققا عديدة أخرى للإيجار في باريس.

كنت قد رأيت زهرة منذ الأيام الأولى التي سكنت فيها العمارة. كنت ألتقيها بين الحين والآخر في المدخل أو المصعد أو الدرج أو أمام صناديق البريد أو في الفناء حيث حاويات القمامة. ظننت آنذاك أنها تقوم بخدمات في بعض البيوت وأن هذا ما يبرر وجودها في العمارة فهناك عربيات كثيرات يشتغلن لدى الفرنسيين. دائما كانت تحييني. أعتقد أنها تفعل هذا مع كل سكان العمارة. وأحيانا كانت تسألني عن الساعة أو تبدي ملاحظة عن الطقس المتقلّب أو عن حاويات القمامة أو عن ساعي البريد.

كنت أرى أيضا منصور وكريم لكن بدرجة أقلّ بكثير مما كنت أراها هي. وكنت أجهل أنهما زوجها وابنها. كنت أظنّ أنهما يأتيان لعيادة الطبيب التي توجد في الطابق الثاني فهناك غرباء كثيرون يتردّدون على العيادة. لم يخطر ببالي إطلاقا أنها تنتمي مع هذين الرجلين اللذين لم أكلّمهما أبدا إلى عائلة واحدة وأن هذه

العائلة تقيم في إحدى الشقق في عمارتنا.

وأول سؤال تبادر إلى ذهني هو كيف يمكن لخادمة تعمل في البيوت وزوجها متقاعد وإبنها عاطل عن العمل أن تقيم في شقة في عمارة من الطراز المعماري الهوسماني الراقى وتقع في حيّ لا يعدّ من أحياء باريس الفقيرة؟ في البداية ظننت أنها تقيم في شقة صغيرة ضيّقة أو في واحدة من هذه الغرف التي توجد في الطابق الأخير وكانت تسمّى غرف الخادّات لأن الخادّات اللاتي كن يشغلن في العمارة فيما مضى كنّ يسكنّ في هذه الغرف. ولكنني اكتشفت أن شقتها لا توجد في الطابق الأخير وإنما في الطابق الخامس وأنها لا تختلف عن شقتي إذ إن كل الشقق في العمارة حتى تلك التي توجد في الطابق الخامس لها نفس التصميم ونفس المساحة. وما زاد في حيرتي أن الشقّة ليست مستأجرة وإنما هي ملك لزهرة ولزوجها.

كنّا أنا وزوجتي الفرنسيّة بريجيت في وضع ماديّ جيّد بل يمكن أن نعتبره ممتازا. أنا أستاذ رياضيات وأعمل منذ إكمال دراستي الجامعيّة التي هاجرت من أجلها إلى فرنسا في جامعة حكوميّة فرنسيّة مما يضمن لي راتبا محترما ويجعلني في مأمن من شبح البطالة الذي صار يهدّد الكثيرين في الأعوام الأخيرة. وبريجيت تشغل منذ فترة طويلة موظفة في فرع باريس لبناك اسباني كبير لأنها تتقن اللغة الاسبانية التي درستها في الجامعة. عائلتنا صغيرة فليس لنا سوى ابنا سامي.

وقد ترك البيت واستقلّ بحياته منذ أن تخرّج من الجامعة وعثر على عمل في إحدى الشركات الكبرى. كنا نتحكم في المصاريف ولنا مدخّرات. ومع ذلك عندما قرّرنا اقتناء شقّة في هذه العمارة اضطررنا إلى اللجوء إلى البنوك للحصول على قرض. ونحن ندفع الآن لتسديده كل شهر أقساطا تعادل ربع مجموع راتبنا فكيف استطاعت زهرة وزوجها شراء شقتّهما؟

ثمّة شيء آخر استعربته وهو أن العرب مثل زهرة وزوجها اللذين ينتميان إلى وسط إجتماعي متواضع ولهما ثقافة محدودة لا يختارون عادة الإقامة في شقق تقع في باريس وأغلب سكانها فرنسيّون حتى لو كانت لهم إمكانيات ماديّة كبيرة.

إنهم يؤثرون الإقامة في بلدات الضواحي ومدنها حيث يتواجد العرب بكثرة مما يخفف من إحساسهم بالغربة والعنصريّة وحيث تتكاثر محلات اللحم الحلال والموادّ الغذائيّة والخضار والفاكهة التي يفضلونها وحيث الأسعار أقلّ ارتفاعا مما هي في باريس.

كنت أتساءل باستمرار أيضا عن السبب الذي يجعلهم يصرون على البقاء في فرنسا بعد توقف منصور عن العمل. أغلب التونسيين المهاجرين يغادرون فرنسا فور إحالتهم على المعاش ويعودون إلى تونس حيث يشتدون فيلات ويفتحون متاجر ويشترون مزارع. هناك يقضون الأعوام المتبقية من أعمارهم في عز ينسيهم كل ما عانوه أثناء غربتهم الطويلة. وهناك يتوفون بين أهلهم ويدفنون في تراب القرى والمدن التي ولدوا فيها.

لماذا تهتم بهذا الأمر. إنه لا يعنيك؟ تقول لي زوجتي بريجيت بقليل من العتاب عندما أحدثها عن ذلك وهذا ما يحدث بين الحين والآخر أملا في العثور على إجابة مقنعة عن أسئلتني. الحقيقة أن بريجيت ليست فضولية مثلي. وهي نادرا ما تهتم بما يحدث في العمارة. ولا تتحدث عن سكانها إلا حين تتضايق كثيرا من أمر ما مثل نباح كلب السيدة التي تقيم في الطابق الثاني برفقة أمها العجوز والتي يشاع عنها أنها هي أيضا لم تتزوج قط وأنها لا تزال آتسة مثل مدام ألبير. أعترف أنني منذ أن بدأت أهتم بزهرة وبعائلتها أستسلم في بعض الأحيان لخيالي فأذهب بعيدا في تصور قصص غريبة ومثيرة عنها وعن زوجها تشبع فضولي. بيد أن المعلومات التي تمكنت من جمعها بصعوبة فيما بعد وضعت حدا لكل هذا.

منصور هاجر في فترة كانت فيها فرنسا وأوروبا كلها مفتوحة للأجانب. لم تكن هناك بطالة في هذه البلدان في ذلك الوقت. كل المهاجرين كانوا يعثرون بسهولة على عمل. ولم تكن العنصرية منتشرة كما هي الآن. اشتغل لبضعة أعوام في قطاع البناء. ثم حالفه الحظ فانتدب للعمل في مصانع سيارات رينو الشهيرة. وظلّ يشتغل هناك إلى أن أحيل على المعاش.

يشاع أنه كان سكيراً وعنيفاً وأنه كان يخالط القوادين وبائعي المخدرات. وبعد تعرّفه على زهرة وزواجه منها تغير كثيرا. استطاع بعد عدة أعوام توفير مبلغ مالي مهمّ. وتمكن بعد الحصول على قرض صغير وبمساعدة مصانع رينو من شراء الشقة. حدث هذا قبل أكثر من ثلاثين عاما في فترة كان فيها الحي فقيرا وسوق العقار كاسدة. والعمارة ذاتها كانت آنذاك مهمة. وقد تمّ ترميمها فيما بعد فصارت على ما هي عليه الآن. هذا كل ما في الأمر.

أما لماذا لم يعودوا إلى تونس بعد تقاعد منصور فهذا يعود أساسا إلى إعاقة الإبن. إنها تستوجب العلاج باستمرار. وهو يتلقى هذا العلاج في أكبر المستشفيات الفرنسية مجانا. ولأنه معاق وعاطل عن العمل فإن صناديق الرعاية الاجتماعية تمنحه تعويضات ومعونات. وأمّه زهرة تحصل هي أيضا

على إعانة بطالة. وبالطبع حين يعودون إلى تونس سيحرمون من كل هذا. منذ أن اكتشفت زهرة أنني تونسي صار منصور يحييني كلما التقينا في مدخل العمارة. قبل ذلك كان يكتفي بالنظر إليّ دون أن يقول شيئا. في بعض الأحيان يهزّ رأسه هزة خفيفة جدا بالكاد أنتبه إليها. تظلّ تلك الحركة غامضة بالنسبة إليّ. كنت لا أدري إن كان يودّ بذلك تحيّي أو أن رؤيته لي قد باغته. في الحقيقة كنت نادرا ما ألتقيه فهو قليل الخروج. وإن خرج ففي أوقات مختلفة عموما عن أوقات خروجي.

وبقدر ما كانت زهرة تهتمّ بمظهرها الخارجي كان منصور مهملا. كان يرتدي دائما ثيابا قديمة وتبدو فضفاضة بالنسبة لجسده النحيل. في أغلب الأحيان كان نقنه غير ملحوظ وما تبقى من شعره غير ممشوط. بيد أن ما كان يشدّ انتباهي هو أنه لا ينتعل أحيانا حذاء وإنما مشاية أو خفا من النوع الذي يستعمل داخل المنزل. وحين يكون الطقس باردا لا يرتدي جواربا.

كان الكثير من سكان العمارة ينظرون إليه بشيء من الاستغراب إذ لا يجوز مغادرة الشقة في مثل تلك الحال من الإهمال حتى لو بقي داخل العمارة. وبريجيت ذاتها بدأت هي الأخرى تتحدّث بين الحين والآخر عن حالة "مسيو منصور" كما تسمّيه إذ إن الفرنسيين حريصون على ذكر كلمة "مسيو" حين يتحدثون عن شخص لا يعرفونه جيّدا حتى لو كان هذا الشخص متشرّدا أو لصا أو مجرما وهذا ما أستغربه كثيرا ولم أعود عليه إلى حدّ الآن.

ولأنه تونسي مثلي كانت تطرح عليّ أحيانا أسئلة أطرحها أنا بدوري ولا أملك أيّة إجابة عنها. ألم ينتبه إلى أن سكان العمارة ينظرون إليه باستغراب؟ لماذا لا يمشط شعره؟ ألا يشعر بالبرد عندما يخرج في الشتاء بدون جوارب وبخف من هذا النوع؟ والسؤال الذي كان يحيّرنا أكثر من غيره هو كيف تسمح له زهرة بالخروج وهو في مثل هذه الحالة من الإهمال؟

كريم يشبه أمّه. خلقة وسلوكا. يعتني بمظهره الخارجي. وملابسه دائما نظيفة. وفي بعض الأحيان ينتعل أحذية ملمّعة ويرتدي ثيابا تبدو كلاسيكية بالنسبة لشاب في عمره الذي قدّرت أنه يفوق الخامسة والعشرين بقليل. لا شيء في الظاهر يربطه بأبيه حتى أنني تساءلت في فترة ما عما إذا كان منصور أباه حقا وعمّا إذا كانت زهرة قد أنجبتة من رجل آخر في زواج سابق.

هو أيضا تغيّر منذ أن اكتشفت أمّه أنني تونسي. صار يحييني بحرارة لا تتمثّل في ابتسامته التي ازدادت اتساعا فحسب وإنما أيضا في إصراره على مصافحتي. كان يعرج عرجا خفيفا بسبب إعاقته. حالما يراني يتقدّم صوبي بسرعة حتى

أنني كنت أخشى أن يفقد توازنه فيقع على الأرض. وكي أسهل عليه المهمة صرت أنا أيضا أتقدّم صوبه. بعد مصافحتي يصمت. كان يتحاشى النظر إلى وجهي بل يبدو لي خجولا مما يوقعني أحيانا في حالة من الحرج. ومن حسن الحظ أن اللقاء لا يدوم سوى بضع ثوان. في البداية كنت أستغرب هذا التصرف فكريم يبدو من بعيد طبيعيا تقريبا مثل أي شاب في عمره. ولفترة قصيرة تساءلت عما إذا كان يعاني من إعاقة ذهنية خفيفة إلى جانب إعاقة الجسدية.



## لجنة التحكيم 2021

شوقي بزيع شاعر وكاتب لبناني، من مواليد صور في الجنوب اللبناني عام 1951. حاز على شهادة الكفاءة في اللغة العربية وآدابها من كلية التربية في الجامعة اللبنانية 1973. عمل في مجال التدريس، ومن ثم مستشاراً ثقافياً في وزارة الإعلام، كما عمل مسؤولاً ثقافياً وكاتب أعمدة في العديد من الصحف العربية، وله دراسات ومقاربات نقدية مختلفة، في مجالي الشعر والرواية على نحو خاص. صدرت له سبع عشرة مجموعة شعرية، وأربعة كتب نثرية، كما صدرت أعماله الكاملة في مجلدات ثلاث.



ترجمت قصائده إلى لغات عدة، بينها الإنجليزية والفرنسية والألمانية، كما تناولت تجربته الشعرية بالدراسة مجموعة من الكتب والأعمال النقدية والأطروحات الجامعية. نال العديد من الجوائز والأوسمة، من بينها: جائزة عكاظ للشعر العربي (2010)، وسام كمال جنبلاط (2010)، جائزة العويس عن فئة الشعر (2017)، وسام فلسطين للثقافة والفنون 2017، وجائزة محمود درويش للثقافة والإبداع (2020).



صفاء جبران أستاذة جامعية من مواليد مرجعيون، جنوب لبنان، عام 1962. تعمل كأستاذة للغة العربية والأدب العربي الحديث في جامعة ساو باولو (البرازيل)، حيث شغلت منصب رئيسة قسم اللغات الشرقية لمدة 4 سنوات. لها عدة أوراق ومقالات أكاديمية في اللسانيات، تاريخ العلوم والمخطوطات العربية والترجمة. مترجمة من وإلى اللغة البرتغالية، صدر لها عدة ترجمات من العربية إلى البرتغالية، منها: ميرامار (نجيب محفوظ)، موسم الهجرة إلى الشمال (الطيب صالح)، باب الشمس (إلياس الخوري)، هاتف المغيب (جمال غيطاني)، بريد الليل (هدى بركات)، سيدات القمر، (جوخة الحارثي). ترجمت من الأدب البرازيلي إلى العربية رواية "شقيقان" للكاتب البرازيلي ميلتون حاطوم و "من المهجر إلى الوطن" (مختارات من الأدب البرازيلي). حصلت على جائزة الشيخ حمد للترجمة (2019).



محمد آيت حنا كاتب ومترجم مغربي مهتم بالفلسفة والأدب والجماليات. وُلد سنة 1981 بالرباط. حصل على شهادة التبريز في الفلسفة، ودبلوم الدراسات العليا المعمّقة في الفلسفة وتاريخ والعلوم. وهو يدرّس الفلسفة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالدار البيضاء. شارك في لجان تحكيم عدد من الجوائز. من مؤلفاته: الرغبة والفلسفة، مدخل إلى قراءة دولوز وغوتاري (2010)؛ القصة والتشكيل: نماذج مغربية (2012)؛ مكتباتهم (2017)؛ الحديقة الحمراء (رواية، 2018). ومن بين أعماله في الترجمة: كاظم جهاد: حصّة الغريب، شعرية الترجمة وترجمة الشعر عند العرب (2011)؛ أندريه ميكيل: العالم والبلدان (2016)؛ جان هيرش: الدّهشة الفلسفية، تاريخ للفلسفة (2018)؛ ألكسندر دوما: جورج (2014) وكونت مونت كريستو (2021).



عائشة سلطان كاتبة صحفية إماراتية، من مواليد إمارة دبي، عام 1962. حاصلة على درجة الماجستير في علوم الاتصال والإعلام، وبكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة الإمارات. تكتب عموداً يومياً في صحيفة "البيان" بعنوان "أبجديات"، منذ العام 1996. عملت رئيسة للقسم الثقافي بجريدة البيان من 1997 إلى 2004 ومديرة إدارة البرامج السياسية بتلفزيون دبي من 2004 إلى 2010 وهي مؤسسة ومديرة دار ورق للنشر في دبي ونائب رئيس اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، وعضو مجلس إدارة ندوة الثقافة والعلوم، عضو مؤسس لجمعية الصحفيين الإماراتية ومؤسسة لمجموعة من أندية الكتب في الإمارات (صالون الكتاب، صالون المنتدى). صدر لها الكتب التالية: "كتاب أبجديات" (1998)، "شقاء الحكايات" (2012)، "في مديح الذاكرة" (2014)، و«هوامش في المدن والسفر» (2015)، في أدب الرحلات).



علي المقربي روائي يمني، ولد في 1966، يقيم في فرنسا. من أعماله الروائية: "طعم أسود- رائحة سوداء" (2008)، "اليهودي الحالي" (2009)، "حُرمة" (2012)، "بخور عدني"، (2014)، "بلاد القائد" (2019). ترجمت أعماله إلى الفرنسية والإنجليزية والإيطالية والكردية وغيرها. وصل إلى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية في عامي 2009 و2011. كما حازت رواية "حرمة" بترجمتها الفرنسية على جائزة التنويه الخاص من جائزة معهد العالم العربي للرواية ومؤسسة جان لوك لاغاردير في باريس 2015 واختيرت رواية "بخور عدني" في القائمة القصيرة لجائزة الشيخ زايد 2015.



## المترجمون

جوناثان رايت: درس اللغة العربية والتركية والتأريخ الإسلامي في كلية سانت جون، جامعة أوكسفورد. عمل صحفياً على طول العالم العربي متنقلاً بين تونس وعمان ولبنان ومصر. كما عمل في الفترة ما بين عامي 2008 و2011 كمدير تحرير لدورية إلكترونية تصدرها الجامعة الأميركية في القاهرة. فاز في شباط/فبراير 2014 بجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة الأدبية لترجمته رواية "عزازيل" ليوستف زيدان، كما فاز بنفس الجائزة في العام 2016 عن ترجمته لرواية "ساق البامبو" للكاتب الكويتي سعود السنعوسي.. ترجم جوناثان العديد من الأعمال الأدبية المعاصرة مثل "تاكسي" لخالد الخميسي، "مجنون ساحة الحرية" لحسن بلاسم، «كائن مؤجل» لفهد العتيق، "حيث لا تسقط الأمطار" لأمد ناصر، "خمارة المعبد" لبهاء عبد المجيد. بالإضافة الى كتاب مقالات لعلاء الأسواني؛ جوناثان رايت هو مترجم رواية الكاتب العراقي أحمد سعداوي "فرانكشتاين في بغداد" التي حصلت على الجائزة العالمية للرواية العربية للعام 2014، ثم دخلت القائمة القصيرة لجائزة بوكر العالمية.

نانسي روبرتس: مترجمة أميركية. ترجمت العديد من الأعمال الأدبية العربية الى الانكليزية. منها رواية "البشموري" للكاتبة المصرية سلوى بكر، التي حازت على المرتبة الثانية لجائزة سيف غباش بانيبال للترجمة الأدبية. كما ترجمت "السراب" لنجيب محفوظ، "فوق الجسر" لمحمد البساطي، "المنتهى" لهالة البدري، "بيت الديب" لعزت القمحاوي، وروايتين للكاتب الفلسطيني ابراهيم نصر الله "قناديل ملك الجليل" و"زمن الخيول البيضاء"، بالإضافة الى ترجمة أربع روايات للكاتبة السورية غادة السمان "ليلة المليار" و«كوابيس بيروت» و«بيروت 75» و"يا دمشق وداعاً". التي فازت بجائزة أركانساس لترجمة افضل مخطوطة عربية.

رافائيل كوهين: مترجم يعمل في القاهرة. ترجم رواية منى برنس "إني أحدثك لثرى" (2011)، ورواية "إيموز" للكاتب إسلام مصباح (2013)، كما ترجم ثلاث روايات للكاتبة أحلام مستغانمي "عابر سرير" (2011) "ذاكرة الجسد" (2011) و"فوضى الحواس" (2014)، ورواية "أجنحة الفراشة" لمحمد سلماوي. ترجم العديد من القصائد لشعراء من العالم العربي وجميعها نشرت في أعداد مختلفة

من مجلة بانيبال. بالاضافة الى "مختارات شعرية" للشاعر والرسام المصري أحمد مرسي، تصدر في خريف العام 2020 عن منشورات بانيبال. ميلاد فايزة: شاعر ومترجم تونسي يقيم بالولايات المتحدة الأميركية. صدر له في الشعر "بقايا البيت الذي دخلناه مرة واحدة" سنة 2004 عن دار أزمنة، و«أصابع النحات" سنة 2019 عن دار ميارة. ترجم روايتين من الإنجليزية إلى العربية للكاتبة الاسكتلندية آلي سميث "الخريف"، و«الشتاء"، وقد صدرت الترجمتان عن دار مجموعة كلمات بالشارقة في 2017 و2019، كما ترجم أيضا رواية الطلياني لشكري المبخوت (بالاشتراك مع كارن مكنيل) من العربية إلى الإنجليزية التي ستصدر عن دار أوروبا خريف 2021. يعمل أستاذا للغة العربية بجامعة براون بولاية رود آيلاند.

كارن مكنيل: مترجمة أمريكية وطالبة دكتوراه متخصصة في اللسانيات والآداب العربية بجامعة جورجتاون. ترجمت رواية الطلياني لشكري المبخوت (بالاشتراك مع ميلاد فايزة) التي ستصدر خريف 2021 عن دار أوروبا Europa Editions، بالإضافة إلى نصوص مختلفة في الشعر والقصة القصيرة من اللغة العربية إلى الإنجليزية. أشرفت على مراجعة قاموس أكسفورد العربي الذي صدر سنة 2014.

سميرة قعوار: صحفية ذات خبرة في مجال الطاقة، عملت ولسنوات طويلة كمحررة لشؤون الشرق الأوسط في دار نشر الطاقة Argus Media منذ عام 1999 الى حين استقالتها من منصبها في مارس 2015 للتفرغ والتركيز على الترجمة الأدبية. ساهمت سميرة قعوار في الترجمة لمجلة بانيبال منذ تأسيسها في العام 1998، وهي عضو في الأمانة العامة لجمعية بانيبال للأدب العربي. من الأعمال التي ترجمتها الى الانكليزية كتاب عبد الرحمن منيف "عمان مدينة الطفولة" 1996، ورواية "عين المرأة" للكاتبة الفلسطينية ليانة بدر، 2008.